نافذة على الإسلام



كتاب الجمهورية الديني

الدكتور احمد الشرباصي

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمـــود ديـــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري



كتاب الجمهورية الدينى

نافذة على الإسلام

الدكتور احمد الشرباصى

« يا اتباع محمد عليه الصلاة والسلام »



هذا نداء تعودت ترديده وتأكيده خلال ما يقرب من ثلاثين عاما ، وأنا اتحدث فى مختلف المناسبات والمواقف ، الى الجموع التى يسر القدر لى لقاءها ، وكان هذا النداء يذكرنى بآيات من كتاب الله عز وجل تتحدث عن النبى الداعية المتبوع ، وصلته بالاتباع الذى آمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه كقوله تعالى: « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وماأنا من المشركين » وقوله سبحانه : « ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » وقوله عز شأنه « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقوله جل سلطانه « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، أولئك هم المفلحون »

وكنت ـ ومازلت ـ كلما رددت هذا النداء أحس أننى أخاطب نفسى ضمن أولئك الذين يسمعون منى ، فأشعر برضى عميق الجذور فى نفسى حينما أدرك انى اجد آلاف الملايين الذين اسعدهم ربهم بأن يكونوا من أتبـــاع هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم ، الذى يقول فيه رب العزة : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »

ومن فيض هذا النبع الطهور الذى قـــام على تبليغه وحراسته رسول الله ونبى القرآن، غرفت ما استطعت ، مما صورت جانبا منه فى الصفحات التالية ، سائلا رب التوفيـــق ان ييسر استمرار الاغتراف وتكرار الالتقاء ، لنزداد من الله تشريفا حين يجعلنا آخـذين بما نستطيع من أسباب الخدمة لدينه ودعوته ولنزداد بفضـــل الله اهتـــداء واستضاءة واستمدادا من هدى الله ونوره الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .

وعلى الله قصد السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تبارك وتعالى ، وأصلى وأســـلم على أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنـــا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ومن دعا بدعوته باحسان الى يوم الدين • واستفتــح الذى هو خير : ((ربنا عليك توكلنا ، واليك انبنا واليك المصير)) •

قبس من كتاب الله

« ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب اليم ، ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك فى ضلال مبين ، أو لم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض ، ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ، بلى انه على كل شىء قدير » •



« سورة الأحقاف »

ملامح المجتمع الإسلامي

طلعت

شمس الاســـــلام على مجمتـــــع متحلل من الخير ، مسرف فى الاثم ،حائر بين الشعاب لم يحسن الاهتداء الى الله تعالى ليعبده ، ولم يعرف طريق القسطاس ليمجده، ولم يذق طعم التطهير ليؤيده ويسنده ؛ فأخذ الاسلام يبنى من الانقــاض مجتمعا سليما جديدا ، له كل مقومات المجتمع الكريم الفاضل .

وتتابعت من الإسلام خطوات الاصلاح والبنـــــاء والتعمير والتحسين ، حتى أقام الناس على منهاج مثالى للحيـــــاة والاجتماع ، وعلى محجة واضحة مستقيمة بيضاء ، ليلهـــا كنهارها ، لايزيغ عنها الا هالك ، وفى خلال سنوات استطاع الاسلام أن يبلغ بأبنائه القمة ، ليكونوا لغيرهم القــــدوة ، وليكونوا أمة مثالية ، وليكونوا شهداء على الناس ،وليكونوا خير أمة أخرجت للناس ، كما ينطق القرآن الكريم .

والمجتمع الاسلامى الفاضل ينهض على قواعد ثلاث هى : ضمان الضروريات ، وتوفير الحاجيات ، وتهيئة التحسينات . ففى باب الضروريات نراه يصون النفس والعقـــل والدين

والنسل والمال : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » ، وفى باب الحاجيات نرى الحق تبارك وتعالى يحدث عباده بأنه الذى خلق لهم ما فى الارض جميعا ، ويأمرهم بالانتشار فى الارض والابتغاء من فضل الله : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه، واليه النشور (١) » وفى باب التحسينات نرى الاسلام يبيح كل طيب . ويمكن أهله من ملذاتهم بطرقها المشروعة وحدودها الحافظة : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . وتقول عائشة رضوان الله عليها ، « ماتمتع الأشرار بشىء الا تمتع به الاخيار ، وزادوا عليه رضا الله »

وما أبلغ البيان القرآنى حين يرمز على طريقته الخاصة الى ذلك كله فيقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لايحب المفسدين » !

وقد بدأ الاسلام فى بناء مجتمعه الفاضل باصلاح الفرد وجعله فاضلا ، فأرشده الى تطهير داخله ، وتزكية نفسه وصيانة النواة فيه ، وحفظ مصدر الاشعاع والتوجيه فى

---

(١) ذلولا : لينة سهلة . مناكبها : طرقها ومسالكها . النشور : البعث والرجوع .

اعماقه ، وهو القلب ، فسمعنا القرآن يردده : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » ، ويقول : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » • وسمعنا نبى الانسانية محمدا صلوات الله وسلامه عليه يقول : (الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » ، ويقول : « اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبى على دينك » ! •• وما دام القلب سليما صائحا ، ذاكرا لربه ، ثابتا على دين خالقه ، فانه سيحرك صاحبه الى الخير ، وسيحول بينه وبين الاثم والبهتان •

وقد جعل الاسلام هذا الفرد الزكى فى قلبه فردا حيا نشيطا متحركا عاملا منتجا ، وجعله فى عمله صابرا مصابرا مداوما ، فقال الرسول : «واحب الاعمال الى الله ادومها وان قل » ، كما جعله فى عمله متقنا محسنا ، فالرسول يقول : (ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه) ، وجعله فوق هذا وذاك فردا جماعيا متضامنا ، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » •

ثم انتقل الاسلام من الفرد الى المجموعة الاولى فى المجتمع وهى الأسرة ، فبناها على السكينة والمودة والرحمة ، وعلى عشرة المعروف ، وعلى الخلق الكريم فى المعاملة ، فالقرآن يقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم

يتفكرون » . ويقول مخاطبا الأزواج فى شأن الزوجات :
« وعاشروهن بالمعروف » . ويقول الرسول : « خيركم خيركم
لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

ثم انتقل الاسلام من الاسرة الى الامة المسلمة ، والى
المجتمع المتدين المؤمن الصالح المصلح ، فجعله مجتمعا يقوم
على التكافل والتساوى بين الافراد فى حقوقهم الطبيعية
وواجباته الاساسية ، فالنبى صلوات الله وسلامه عليه يقول :
« المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم
يد على من سواهم » .

وليس فى هذا المجتمع مكان لطاغية فرد او حاكم مستبد
بل فيه جماعة راشدة تحكم نفسها بنفسها ، على أساس
كتابها وهدى نبيها « وشاورهم فى الامر » ، « وامرهم
شورى بينهم » ، والفرد فى هذا المجتمع له حرمته وكرامته
وشخصيته ، ولكن هذه الشخصية الفردية لاتتعارض
مع الشخصية الجماعية ولا تبغى عليها ، فهذا الفرد مطالب
بالسمع والطاعة فى الرضا والغضب ، والمنشط والمكره ،
ولذلك جاء الحديث : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم
عبد حبشى ، كأن رأسه زبيبة » ، وعن أبى ذر قال : « أوصانى
خليلى صلى الله عليه وسلم أن أسمع واطيع وان كان عبدا
مجدع الاطراف » (١)

(١) مجدع الاطراف : اى مقطع الاعضاء ، من الجدع وهو القطع ،
وان اشتهر فى قطع الانف .

ولكن هذه الطاعة مشروطة بأن تكون فى حدود ما أمر الله به او رضي عنه ، أما اذا انتقل الامر الى حيز المعصيه كان امرا باطلا ، لا سمع فيه ولا طاعة له ، ومن هنـــا جاء فى الحديث : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) ، وفيـه أيضا : (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره ، مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة) . وليس وراء هذا المنهاج سبيل للتعادل بين سلطة الجمـاعة الراشدة وكرامة الفرد المسلم .

وهذا المجتمع يقوم على ضوابط العدل والخير والتعـاون فيما يفيد وينفع ، والتواصى بالحق ، والتناهى عن الباطل: « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » . « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنـون بالله .. » ، « والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » !

وهو مجتمع يقوم على العدالة الكاملة فى الجزاء والحساب الدقيق فى العمل ، والمراجعة المضبوطة فى التصرف : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شـــرا يره » ، ويقوم على المماثلة فى مقابلة السيئة بمثلهـا للـردع

والتأديب ، ولكنه فى مجال الخير والاحسان يقوم على اثابة المحسن خير انابة ، ومقابلته بأضعاف حسنته ، وذلك للترغيب والتشجيع والتحبيب « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ! » .

وهو مجتمع يدرك أن الجريمة ستقع ، وأن اعتداء البعض على البعض سيحدث ، وانه لابد من روادع وزواجر ، لتصد الناس عن هذه الجريمة وذلك الاعتداء ، وقد أقام الاسلام هذه الزواجر على اساس التهذيب والاقتصاص ، لاعلى أساس الثأر والانتقام : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) .

وهو مجتمع ربانى الهى ، موصول الاسباب بالسماء ، فكل فرد من افراده يريد بعمله الخاص او العام وجه الله تعالى ورضاه ، لا يريد به المنفعة او المفخرة او الحمية أو المراءاة ، وهو اذا أراد وجه الله فى اعماله ، كان له الاجر فى جميع هذه الاعمال ، سواء أكانت مادية ام روحية ، اخروية ام دنيوية ، فيكون له الاجر فى السعى على اولاده كما يكون له

الاجر فى الجهاد من اجل دينه ، بل يكون له الاجر على اللقمة يأكلها ، وعلى اولاده يضاحكهم ، وعلى زوجته يأتى فراشهـا ليعفها ويعف نفسه ، والله رءوف رحيم ! •

وهذا المجتمع – اخيرا – مجتمع طهور متحنث متـأثم ، يتذكر دائما ان الله طيب لايقبل الا طيبا ، فهو لايرتضى – بله ان يأتى – رذيلة او اثما او منكرا ، والحق تبارك وتعالى يقول : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لاتعلمون » •

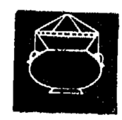
ثم انتقل الاسلام بعد ذلك الى المجتمع الانسانى كله ، الى عالم البشرية الواسع ، فأقام هذا المجتمع على دعائم ثابتـة واضحة من اتحاد الاصل ، وشرعة التمايز للتعارف ، واساس الافضلية بالتقوى ، وقاعدة الاصطفاء والتكريم بوجود النفع للغير ، والاسهام فى الخير والبر ، فالقرآن يقول : « يأيهـا انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » ، والحديث الشريف يقول : (خير الناس انفعهم للناس) •

هذه هى الخطوات الاساسية التى خطاها الاسلام فى بناء المجتمع الفاضل ، وقد بلغ القمة بهذا المجتمع ، حتى اخرج

للناس نماذج بشرية سامية ، تضيء الطـــريق لمعاصـــريها ولاحقيها ، وقد زانت هذه النماذج العاليةجبين الدنيا بمكارم الاخلاق وعظيم الفعال وشريف الخصال .

ان العالم المنكوب يعانى ما يعانيه بسبب حيرته في مجالات المذاهب الاجتماعية المستحدثة ، وهو يخرج من تجـربة الى تجربة ، وان شئت قلت : هو يخرج من محنة الى محنـــــة ودواء السماء بين يديه يصد نفسه عنه ، او تدفعه عن ساحته يد الشيطان ، ولو أقدم عليه لانتفع منه وسعد به !

ومن العجائب ـ والعجائب جمة ـ
قرب الدواء ، وما اليه وصـــول
كالعيس في البيداء يقتلهـــا الظما
والماء فوق ظهـــــورها محمول !



التعليم تلقين وحشـــد للمعلومات فى الذهن غالبا ، وأما التربية فهى توجيه وتهذيب وتدريب ، والتعليم يتجه أول ما يتجه الى العقل والذاكرة والحافظة ، والتربية تتجه أول ما تتجه الى النفس والروح والقلب ، وبعبارة أخرى نستطيع أن نقـول ان التعليم يهدف إلى ان يخرج لنا علماء ، واما التربيـــة فتهدف الى ان تخرج لنا متأدبين متخلقين .

والتربية والتعليم متلازمان ، لان التعليم بلا تربيةلافائدة منه ولا ثمرة له ، والتربية من غير قسط من التعليم لاتتحقق على وجهها المطلوب ، والناظر فى مناهجنا الدراسية فى بلادنا الاسلامية بصورة عامة يراها تعليمية اكثر منها تربوية . ولا جدال فى ان العلم هو ادراك الشىء على حقيقته ، وهـذه مرتبة أولى لابد منها ، كما انه لابد مما تليها ، وهى مرتبة استغلال ذلك الشىء المدرك على حقيقته فيما يرتفع بهالانسان حسا ونفسا ، ومادة وروحا .

وأكاد أفهم ان من اسس مهمة الاسلام فى الحياة ان يخلق من الانسان ذلك (الرجل الربانى) ، وهو الذى يربىنفسه

بالعلم والخلق ، اى يزكيها ، ويصلح امـــرها ، ويقـــوم عوجها ، ومن هنا نسب الى الامام على رضى الله عنه انه قال: (انا ربانى هذه الامة) • وهذا التعبير لا يفيد كثرة العلم فقط ، بل يفيد معها حسن الانتفاع بذلك العلم فى تأديب النفس ، ووصل اسبابها بقيوم السموات والارض سبحانه • ولو صار أبناء الاسلام ربانيين بالمعنى الصـحيح ، وكمـا يريد لهم ربهم ودينهم ورسولهم وقرآنهم ، لكانوا صـــــلاح العالم ، وسراج الدنيا ، وقوام الحياة •

ولو نظرنا نظرة الدارس الفاحص فى القرآن الكريم ـ دستور الاسلام الاعلى ـ لوجدنا ان عنايته بالتربية والاخلاق أكثر من اهتمامه بالعلوم والفنون ، بل واكثر من اهتمـــامه بالتشريعات المادية ، وذلك لان النفوس اذا تربت وتهـذبت وصلحت لم تحتج الى كثير تشريع •• ومدار الامر كله على استقامة تلك اللطيفة الربانية التى أودعها الله صدر الانسان وهى (القلب) •• وما ابلغ رسول الله عليه صـــلوات الله وسلامه حينما أشار الى هذا المعنى الدقيق الجليل فى قوله : (الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب) ! •

ولقد ذكرت مادة (الرب) فى القران الكريم ما يقرب من الف مرة ، ونلمح من ذلك رمزا لطيفا يرمز الى قيمة التربية وجلالها ، لأن كلمة الرب فى الاصل معناها التربية ، والتربية ـ كما يقول اللغويون ـ هى انشاء الشىء حالا فحالا الى حـد

الكمال وقد اطلقت كلمة (الرب) على الله جل وعلا ـ كما يقول الباحثون ـ لانه متولى شئون عباده ، وكافل مصـــالحهم ، ومربيهم طورا بعد طـــور ، وموجههم الى سبيـــل الخير والسعادة .

ونحن لا ننسى ان مادة « العلم » الرامزة الى جلال التعليم قد كثر ورودها فى القران كذلك ، ولكن شأن التربية اهم من شأن العلم اذا تناظرا ، وبخاصة اذا لاحظنا ان التربيـــة تستلزم العلم ، ولكنه قد يوجد العلم بدونها .

ولننظر الى الآيات الأولى التي نزلت من القرآن الكريم ، فسنجد فيها اشارات لطيفة الى قيمة التربية وخطرهـــا ، فالله سبحانه يقول : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم . كلا ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى . ان الى ربك الرجعى) .

لقد بدأ الله تعـــالى تنزيله المجيد بقوله : « اقــرأ » ، والقراءة كما تكون وسيلة للتعليم قد تكون وسيلة للتربيـــة فاذا كان المقروء يزيد المدركات فهذا نوع من التعليم ، واذا كان المقروء واعظا زاجرا فهذا نوع من التربية .

ثم قال : «باسم ربك» . وهنا توجيه الى التربية ، اى اقرا مستعينا باسم ربك ، ومفتتحا به ، ولا شك ان استحضار جلال الله ، والاستعانة به ، والتبرك به ، والتذكر لبركته .

كل هذه الوان من التربية والتهذيب ، وكلمة « ربك » فيهـا تذكير بالمربى الاعظم لعباده ، والموجه الحكيم لهم الى مقاصد الخير والبر ٠

ثم قال : (الذى خلق) ٠٠ وتذكر الخلق الالهى ، ومافيه من عجيب الصنع وبديع التكوين لون من الوان العظة والتربية والتوجيه ٠

ثم قال : (خلق الانسان من علق) ٠٠ وخلق الانسان المبصر العاقل من هذه المادة الحقيرة القليلة ، فيه ما فيـه من الدلالة على قدرة الخالق وكمال حكمته ٠ واستحضـار هذه المعانى فى نفس التالى او السامع يوجه الى التربيـة والتقويم ٠

ثم قال : (اقرا وربك الاكرم) اى الزائد فى الكرم عـلى كل كريم ، فانه ينعم بلا غرض ، ويعطى بلا طلب ٠ ويحلم من غير عجز ولا خوف ، وهو الكريم وحده فى الحقيقة ، واذا تذكر المرء هذا كان عاملا من عوامل التربية لنفسـه والتهذيب لخلقه ، لأن تقواه لذلك الخالق العظيم ستزداد ٠ ومتى زادت التقوى كملت التربية وتم التهذيب ٠

ثم اراد الله سبحانه ـ وهو اعلم بمراده ـ ان يعطى العلم والتعليم نصيبهما ، بعد هذه الاشارات الى جلال التربيـة فقال : (الذى علم بالقلم) وما كاد ينوه بشأن العلم هـذا التنويه حتى وصل به تنويها لطيفا بشأن التربية حين قال:

(علم الانسان ما لم يعلم) بأن نصب له الدلائل ، وبسط أمامه الآيات ، وأمده بما يعجز عن الوصول اليه . وفى هذا تذكير بفضل الله عليه ، وحين يتذكر المرء فضل الله عليه حق التذكر يتعظ ويعتبر . وهذا نوع من التربية .

ثم يقول بعد ذلك : (كلا ان الانسان ليطغى ، ان راه استغنى ، ان الى ربك الرجعى) . وهذه عودة الى التنبيه على شأن التربية . فان من تدبر فى طغيان الانسان حين استغنائه ، وفى ذله واستخذائه حين افتقاره ، ومن تذكر ان الرجوع الى الله وحده ، وان الملك يومئذ له ظاهرا وباطنا ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . . من تذكر كل هذا خاف وارتدع وتورع . والخوف والارتداع والورع من اقوى عوامل التربية والتهذيب .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .. اطلبوا من العلم ما شئتم . فدينكم دين العلم والمعرفة . ولكن تذكروا دائما وابدا أنه لا قيمة لذلك العلم من غير تربية ولا اخلاق ، وما العلم بدون الاخلاق الا تخريب وتدمير . والشواهد امامكم هنا وهناك . فاحرصوا على تربية نفوسكم وتقويم اخلاقكم ، فانما الامم الاخلاق ..

الكرامة الإنسانية في الإسلام



العيوب الواضحة فى تاريخ الشرق الاسلامى انه استيقظ فى فاتحة هذا القرن العشرين من نومه العميق وانحداره السحيق ، فرأى الغرب المادى ناهضا نهضته الحديثة الكبرى .

والضعيف دائما مولع بتقليد القوى ، والمتخلف يحاول ما استطاع ان يسير فى اعقاب السابق ، فاعتقد الشرق فى الغرب العظمة والمدنية والحضارة والكمال .. واخذ الشرقيون يعتقدون ان كل شىء غربى او بدعة اوربية ، سمة من سمات الرفعة . وعلامة من علامات النهضة .واذن فليذهب كل تراث الشرق الى مهوى العدم . وليكن الغرب هو القائد والامام ، وقد ساعد على تأصل هذه العقيدة السيئة الخاطئة استعباد الغرب واستبداده بأكثر الممالك الشرقية الاسلامية واستدراجه لكثير من رجالنا وكبرائنا حتى ثقفهم بثقافته المادية ، وصبغهم بصبغته الالحادية وطبعهم بطابعه الغريب ، بعد ان اوهمهم أنه لا يصدر عنه الا الكمال ، مع ان الغرب ملىء بالسيئات والمنكرات ، والقبائح التى لا تطاق .

واليكم على سبيل المثال شاهدا لما نقول : ان الغـــربيين ممثلين فى الاوربيين والامريكيين يتظاهرون فى كل فرصــة بأنهم حماة الحرية والاخاء والمساواة ، وابنـــاء العـــدالة والنور والضياء ، وحفاظ الكرامة الانسانية فى الوجـود ، وتلك دعوى عريضة يكذبها الواقع وتنقضها الحقائق • ولن ألجأ في دحضها الى مآسى الاحتلال والاســـتعمار • ولكنى اكتفى بما روته بعض الصحف من ان شابا وسيمـا يعيش فى ولاية أمريكية ـ وأمريكا كما تسمعون دائما هى حاميـــة الحريات ـ قد احب فتاة اجنبية فتزوجها تحت ســـمع الكنيسة وبصرها ، ولكن قانون الولاية المتمدنة المتحـــررة يمنع الزنجى من التزوج بفتاة بيضاء ، وهناك من ادعى أن هذا الشاب من سلالة الزنوج ، ولذلك يستحق العقـــاب الصارم ، وفعلا قبض على الزوج المسكين فاذا بهم أمام رجل أبيض اللون ، ولكن المنافس له زعم ان فى دمـــه من دماء الزنوج ما يساوى نسبة ثمانية فى المائة • وهذه هى النسبة التى تجعل القانون يحرم زواجه من تلك الامريكية البيضاء• واحال القاضى ذلك المتهم الى علماء التناسل الاحـــرار ! وبعد بحوث وتجارب قرروا ان فى دم ذلك الزوج ما يزيـد فعلا عن نسبة ثمانية فى المائة من دماء الزنوج السود •وقد تحدرت اليه هذه النسبة من أحد اجداده السود القدماء ، فأصدر القاضى حكمه بسجن الزوج خمس سنوات ، لا لذنب جناه ، او سوء أتاه ، الا انه خلق من سلالة قوم ســـمر الالوان (وجرؤ) على أن يتزوج من فتاة بيضاء تحبـــه

وتهواه ، وما كادت الزوجة تسمع الحكم حتى خاطبت زوجها قائله : (ان خمس سنوات ليست بالمده الطويله ايها الزوج العزيز ، وسأنتظرك وفية مخلصة حتى تخرج من السجن سالما .. وسنسافر الى مكان اخر لا يفرق بين البيض والسود) ! .

أرأيتم السفاهة فى التفكير ، والضلالة فى الراى ، والتعصب للون ، والافتخار الكاذب بالجنس والدم ؟ ! وممن ؟! ممن يقولون انهم ارباب الاخوة الانسانية والمساواة العالمية والحرية البشرية ، فأين هذا الضلال والتناقض من سمو الاسلام وتكريمه لبنى الانسان . وتسويته الحقة بين الناس اجمعين ؟ .. اين هذا من الاسلام الذى اعلن للناس انهم متساوون فى الخلقة من ماء وطين . وأنهم صنعوا بيد خالق واحد ارادهم متحابين متعارفين، لامتعصبين متناكرين (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم . ان الله عليم خبير) ؟!

اين هذه التفرقة الغاشمة والتعالى الكاذب من روح الاسلام السمحة التى لم تعتبر فى الزواج من اسباب الكفاءة والجدارة الا الدين والخلق والعمل الصالح ، فيجوز للعبد الاسود المملوك ان يتزوج الحرة النسيبة الغنية مادام عفيفا مسلما ، ولقد زوج النبى زينب بنت جحش الحرة العربية القرشية من زيد بن حارثة العبد المملوك ، وزوج فاطمة

بنت قيس الحرة الفهرية من اسامة بن زيد العبد المملوك ٠ وزوج بلال بن رباح العبد الحبشى الاسود من الحرة النجيبة اخت عبد الرحمن بن عوف ، وقال محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم : (اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (اى زوجوه) الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) ٠

واين استبداد البيض فى أمريكا وبلاد الغرب بالزنوج السود ٠ وقسوتهم عليهم ٠ وحرمانهم اياهم من كثير من الحقوق الانسانية والمزايا الاجتماعية المباحة للانسان بحكم انه انسان ، من أخوة الاسلام التى تلغى فوارق الوطن والجنس واللغة واللون من بين المسلمين ، وتهذب عواطف السيادة والسيطرة فى نفوس المالكين ، فرسول الله ونبى الشريعة يقول : (لا يقولن احدكم عبدى وامتى ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم اماء الله ، ولكن ليقل : غلامى وجاريتى ، وفتاى وفتاتى » ٠ ولقد حدث أن صحابيا جليلا قال لآخر وهو يخاصمه : يا ابن السوداء ٠ فغضب الرسول من ذلك غضبا شديدا ، وقال له مستنكرا : (أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية » ! ورأى أبو هريرة رجلا راكبا على دابته وعبده يمشى خلفه فقال له : « احمله خلفك ياعبد الله فانما هو أخوك وروحه مثل روحك » ٠

لا تغفل عن سر هذا النداء ، فقد أراد أبو هريرة ان يذكر الراكب بأنه عبد الله لئلا يتكبر ، وقال على بن ابى

طالب : (انى لاخجل من نفسى ان استعبدت رجلا يقـــول ربى الله) ؛ وهذا عمرو بن العاص يرسل الى المقوقس سلطان مصر وفدا للمفاوضة وعلى رأسه رجل اسود هو الصـــحابى العظيم عبادة بن الصامت ، فقال المقوقس للوفد : « نحـوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره ليكلمنى » فقال الوفد : « ان هذا افضلنا رأيا وعلما ، وهو سيدنا وخيرنا والمفضـــل علينا ، وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه ، وقد أمرنا اميرنا بأن لانخالف له رأيا ولا قولا) • فارغم المقوقس الحاكم المملك على مخاطبة ذلك الزنجى الاسود مخاطبة الانداد للانداد • والله يرفع درجات من يشاء !

ولتسائلوا أنفسكم : متى شرع الاســـلام هذه المساواة المطلقة فى الحقوق الانسانية العامة بين كافة الطبقـــات والالوان ؟ لقد شرع ذلك الدستور الانســـانى الســامى فى الوقت الذى كانت هناك بعض القوانين التى توجب على المرأة الحرة التى تتزوج بعبدها أو معتوقها ان تحرق هى وهو وهما على قيد الحياة ، فى العصر المظلم الذى كان يتحاكم فيـــه الناس الى شرعه الغاب ، ويتعاملون بأسلوب الأسمـــاك فى المحيط ، فالحيتان تأتى على الصغار بلا ابقاء •

ولتسائلوا انفسكم ايضا : وأين شرع الاسلام هـذه المساواة ؟ انه قد شرعها ونفذها بين الغلاظ الأكباد ، القساة

القلوب ، أصحاب العنجهية وحمية الجاهلية وقوة العصبية والتفاخر البليغ بالأنساب والأحساب وعدم الرضا بالخضوع لقانون أو نظام !

ولتسائلوا أنفسكم أيضا : كيف طبق الاسـلام هـذه المساواة ؟ انه قد طبقها تطبيق اليقين والاخـلاص ، فأصبح أتباعه بنعمة الله اخوانا ، وارتبطوا بعواطف الاخوة والمحبـة اكثر من ارتباطهم بعواطف النسب والقرابة • وامتدت رحاب هذه المساواة الصحيحة الحقة فى التاريخ اجيالا عدة وقرونا متتابعة ، فلم تكن فلتة من فلتات الايام ، أو بارقة من بوارق الخيال ، بل ظلت حقيقة واقعة مئات من السنين ، ولم يحـد من اتساعها العالمى الا تكالب قوى الشر والبغى على كتـائب الاسلام فى عصور الظلمات !

من واجبكم ان تصفعوا بتلك الحجج الدوامغ وجوه أولئك المفتونين ، المخدوعين بزاد أوروبا ، وتراث الغرب ، وعظمة أمريكا ، وأن تقولوا لهم فى صراحة وثبات : لقـد آن لكـم ان تنتبهوا من غفلتكم ، وتصححوا من رأيكم وفكـرتكم عن الاسلام ، وان تتركوا موائد الغرب الذميمة الاثيمة لتفيئوا الى رحاب القرآن ، وشرعة الرحمن وعدالة الديان • فان ذلـك سيكسبكم عزا ليس وراءه عز ، وثقة بتراثكم وعقائدكم ليس

بعدها ثقة ، وسيعلمكم كيف تكفرون بالانساب والاحساب ، وتؤمنون بخضوعكم جميعا فى ساحة العبودية خاشعين لربوبية الخالق الوهاب ، فلايكون هناك بغى أو طغيان ، بل عـدالة واحسان .

واذكروا دائما قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لابيض على أسود ولا لأسود على أبيض ، الا بالتقوى ، الناس من آدم ، وآدم من تراب) .



التفاضل بالعمل الصالح

كنا نظن ان اضــواء الدين والعلم والثقـــافة قد هذبت اخلاق الانسان ومشاعره ، وعلمته حقا وصدقا ان التفاضل بين اقدار النــاس ليس بالحسب أو النسب ، بل بالتقـــوى والعمل الصـــالح والخلق الفاضل • وكنا نظن ان التبـــاهى بارتفاع الدرجات المادية والتعيير بالوظائف الصغيرة مما مضى وانقضى الى غير رجعة ، ولكن يظهر ان فريقا من الناس لازالت تعلو أبصارهم غشاوة الجهالة والجاهلية ، وتسامر عقـولهم خواطر التكبر والعنجهية • فهم يرون انفسهم فى علو ورفعة ماداموا فى منصب او مال او جاه ، ويرون غيرهم من الناس اقل منهم منزلة ومكانة ، لانهم اقل مالا او وظيفة •

فترى هؤلاء المتعالين الشامخين يحتقرون هذا او ذلك من الناس لأنه كناس أو حمال أو حلاق أو دباغ ، أو غير ذلك من أصحاب الحرف التى تواضع الناس على تسميتها خــطأ بالحرف القليلة القيمة ، مع أنه قد يكون من أصحـــاب هذه الحرف من هو اشرف نفسا واطهر ذمة وانظف يدا من كثير من هؤلاء الذين طالت اعناقهم بغير حـــق ، او غلظت

أجسامهم عن طريق السحت ، أو كثرت أموالهم بوسائل الباطل .

ولست أنا الذى أقول لكم هذا ، بل هو ربكم ومولاكم الذى يقول : « وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » . ولست أنا الذى أقول هذا ، بل هو نبيكم ورسولكم الذى يقول : « الناس سواسية كأسنان المشط فى الاستواء ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب » .

ويقرب من ضلال هؤلاء انهم قد يعيرون بعض الناس لانهم خدم لغيرهم ، أو لفقر أسرهم ، أو لسواد ألوانهم ، مع أن الاسلام لايفرق بين الأسود والأبيض ، ولابين الخادم والمخدوم ، ولا بين الغنى والفقير فى القيمة البشرية والمكانة الانسانية . ومحمد نبى المساواة يقول : (ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى والعمل الصالح) .. والاسلام لا يمنع أن يكون كبير القوم القائد لهم عبدا اسود فيقول الرسول : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى » .

واذا رجعنا الى تاريخ السلف الصالح وجدنا من اللامعين البارزين بين الصحابة طائفة كان افرادها فى الاصل عبيدا ، او كانوا يمتهنون مهنا ليست مرموقة المكانة او ملحوظة الشأن ، ومع ذلك كانوا أئمة اعلاما ، ومنهم زيد بن حارثه وبلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى .. زيد

ابن حارثة الذى كان عبدا واسلم ، ومع ذلك يقول الرسول عنه انه من احب الناس اليه ، وبلال بن رباح الحبشى مؤذن الاسلام الذى يخبره الرسول بانه قد سمع خفق نعليـــــه بين يدى الرسول فى الجنة (١) ، ويقول الفاروق عمر بن الخطاب عن بلال : (ابو بكر سيدنا ، واعتق سيدنا) يعنى بلال بن رباح ا .. وسلمان الفارسى الذى سئل عن نسبه فقال : انا ابن الاسلام ، والذى اخبره النبى بان الجنـــــة تشتاق اليه ، وصهيب الرومى الذى يقول فيه النبى : (نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه) ..

ومنهم أنس بن مالك الذى كان خادما للرسول ودعا له النبى فقال (اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه) . ولما مات أنس قال مورق : (ذهب اليوم نصف العلم) قيل له : كيف ذلك ؟ قال : كان الرجل من اهل الاهواء اذاخالفنا فى الحديث قلنا : تعال الى من سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم (يعنى أنس بن مالك) ـ ولم يفرق الاسلام بين بلال وابى بكر ، ولا بين صهيب وعمر ، ولا بين سلمان وعثمان ! ..

ثم مالنا نذهب بعيدا وأمامنا أفضل قدوة وأعظم اسوة ، وهو رسول الله عليه صلوات الله وسلامه : (لقد كان لكم

(١) ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال : « دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك بين يدى » . تهذيب الاسماء للنووى جـ١ص ١٣٧ . والخفق : الصوت وكذلك الخشف .

فى رسول الله اسوة حسنة) .. لقد كان محمد سـيد الانسانية وامام البشرية راعيا للغنم . ونشأ يتيما بلا اب ثم بلا ام ، وكان يصف أمه بانها امرأة كانت تأكل القديد(١) بمكة. وكان وهو نبى مرسل لا يأنف ان يحلب الشاة ، وان يخصف النعل ، وان يرقع الثوب ، وان يجمع الحطب ، فهل يجرؤ حقير او صعلوك على ان يعيب محمدا لانه كان يقوم بهـذه الاعمال التى يحسبها المتغطرسون من حقائر الاشياء ؟!

ومتى كانت الحرفة ـ مهما كانت منزلتها ـ سببـا لعيب صاحبها ، وقد قيل : (رب حجام او دباغ او نساج او يقال هو عند الله وعند نبيه خير من قرشى أأمير أو ملك) ؟. ومن يدرى فقد يصير هذا المتواضع فى حرفته ، المستضعف فى حياته ، سيدا وقائدا لغيره من المتطاولين عليـه ، او المستخفين به ، والشاعر يقول :

لاتحقرن امرأ قد كان ذا ضعة
فكم وضيع (٢) من الأقوام قد رأسا

فرب قوم جفـوناهم فلم نرهم
اهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسا !

وحسب هؤلاء المكافحين فى سبيل العيش والقوت شرفا انهم لايتكلون على ميراث أو اختلاس أو اغتصـاب أو استغـلال

---

(١) القديد : اللحم الملوح المجفف فى الشمس .
(٢) الوضيع : الرجل المحطوط القدر الذى لا يحفل به الناس .

او سحت ، بل يكسبون قوتهم بعرق جبينهم ، وبطـــريق شريف نظيف ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (من امسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له) .. وقيل ان النبى راى رجلا ورمت يده من العمل بالمسحاه فقال : (هذه يد يحبها الله ورسوله) .

وننظر فى أعلام هذه الامة الاسلامية وقادتها وائمتهـــا والبارزين من رجالها ، فنجد الكثيرين منهم كانوا يعملون ، وكانوا يحترفون ، وكانوا يعالجون بأيديهـــم ، وكانــوا يزاولون حرفا يعدها الناس قليلة ضئيلة ، فأبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وميمون بن مهران كانوا بزازين ، اى يبيعون الثياب . والزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز كانوا جزارين ، والعوام ابو الخبير وعثمان بن طلحة ـ الذى دفع اليه النبى مفتـــاح الكعبة يوم فتح مكة ـ وقيس بن محزمة ومجمع الزاهد كانوا خياطين . وطائفة كبيرة من اعلام هذه الامة كانوا يبيعون بزر الكتان ولقب كل كل منهم بلقب « البـــزار » ، وجاء فى (القاموس) اسماء كثير منهم ، ومالك بن دينـــــار الزاهـد العالم المحدث المشـــــــهور كان وراقا ، يكتب المصـــاحف بالاجـــرة .

وهذا قاضى قضاة المالكية فى عصره الشيخ شمس الدين البساطى كان يجمع بين خدمة دينه ودنياه ، اذ كان يأكل من صيد السمك . فكان يخرج بشبكته فيصطاد ما يبيعــه

ويقتات به . ثم يخلع ملابس الصيد ويلبس ملابس القضـــاة ويجلس للحكم بين الناس · وكان فى عصر واحد مع ابن حجر المحدث الكبير ·

ولابى بكر أحمد الخلال محرر المذهب الحنبلى رســالة فى الحث على التجارة والصناعة والعمل · وقد ذكر (الخلال) أن نبى الله داود كان لا يأكل الا من عمل يده وكان يخطب الناس على منبره وانه ليعمل الخوص بيده ، فيعمل منه القفة او الشىء ثم يبعث به مع من يبيعه ثم يأكل من ثمنه ، وكان سليمان ابنه يعمل الخوص بيده ، وادريس نبى الله كان خياطا وكذلك كان لقمان ، وكان زكريا نجارا ! ·

والرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يستقذر للمسلم ان يحترف بأية حرفة ، حتى ولو كانت جمعا للحطب ، فقـــد قال : (لان يأخذ احدكم حبله ، فيأتى الجبل ، فيجىء بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويستغنى بثمنها ، خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه) ·

ولقد جاء الى النبى ـ كما يروى الخلال ـ رجل يشـــكو الفاقة وله كساء وقدح ، فباعهما له الرســـول بدرهمين ، ونصح الرجل ان يشترى فاسا بدرهم وبالاخر طعـــاما لاهله ، ثم امره بان يجمع الحطب وغيره من الوادى طيـــلة خمسة عشر يوما ، واطاع الرجل فكسب عشرة دراهم ، فامره النبى أن يشترى طعاما لاهله بخمسة دراهم وكســـوة لهـــم بالباقى ·· فقال الرجل : يارسول الله ، لقد بارك الله فيمـــا

امرتني • فقال له النبي : هذا خير من ان تجيء يوم القيامة في وجهك نكتة المسألة ، ان المسألة لا تحل الا لثلاثة : لذي دم موجع ، او غرم مفظع • او فقر مدقع ! •• (١) •

وربما يعيب رجل منتفخ الاوداج عريض الالواح متكبر النفس رجلا آخر بانه حمال مثلا • ولو ذهبنا نبحث عن حال الاول المتكبر لوجدنا فيه عيوبا ومثالب ، ولو بحثنـــا حال الحمال لوجدناه رجلا شريفا عفيفا ، غيورا على الحرمات ، متحرزا من الحرام ، مجاهدا الباطل واهله • فاي الشخصين احق بالتقدير واولى بالاحترام والتوقير : « افمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ، أم من يمشي سويا على صراط مستقيم » ؟

لقد سمعت رجلا مسلما عاملا يقول انه يستطيب لقمـــة العيش اذا حصل عليهابعرق جبينه ، وانه يجدلذة كبيرة اذا أكل هذه اللقمة بعد ان تعب فيها ، وبعد ان سال عـــرقه في بلوغها ،وانه لا يحس للطعام بلذة اذا اكله وهو هادىء مستريح لم يشتغل ولم يتعب ، ويقول انه يشعر اذا اسال عرقه في سبيل اللقمة بأن هذه اللقمة طيبة مباركة طاهـرة يجعل الله فيها الغذاء والدواء والشفاء •

اليس هذا ايها الناس نوعا من التفسير والشرح لقــول الرسول عليه الصلاة والســلام (ما أكل احد طعاما قــط خيرا من أن يأكل من عمـــل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) !

---

(١) اخلاق العلماء ، ص ٢٥٤ .

وأمام هذا الرجل العامل الكادح الفقير يوجـــد أناس من المجرمين اللصوص الذين لا تطيب لهم لقمة العيش الا اذا اختلسوها ، او عجنوها بعرق البائسين الذين يستبد بهـم هؤلاء المجرمون او يتحكمون فيهم او يتسلطون عليهم ناسين قول النبي : « كل لحم نبت من سحت (١) فالنار أولى به »
وسمعت عن رجل حلاق ربى ابناءه تربية كريمة وهيأ لهـم اتمام دراستهم الجامعية . وشغلوا وظائف ماحوظة.وسمعت بأخر غنى مترف ، له الدور والقصور ، والعقـار والمال ، وله ولد وبنت ، فاساء تربيتهما ، فخرج الولد نصف رجل أو قل نصف امرأة ، وحلت البنت شعرها واسلمت ساقيهـا للرياح !

اذكروا جيدا ودائما ان الاسلام يحترم (الكنـــاس) المخلص فى عمله ، الذى يعرق فى اداء واجبه ، وان الاسلام يحتقر الرجل الكبير الخائن الذى يهمل فى واجبه ، أو يسرق ويختلس ، أو يأخذ أزيد مما يستحق .. واذكروا ان الاسلام يكرم العاملين المحترفين مهما كان عملهم ،ومهما كانت حرفتهم، وان الاسلام يهين كل متكبر يعتمد على الانساب والاحساب . او يفتخر بالمال والجاه : (فمن يعمل من الصالحات وهـــو مؤمن فلا كفران لسعيه ، وأنا له كاتبون)

فيا عناية السماء كونى مع العاملين الكادحين ، ويالعنة السماء تنزلى على المستغلين المبطلين ! .

---

(١) سحت : حرام .

عوامل النجاح

يقال

إننا نعيش فى عهد المدنية والحضارة والتقدم ، وقد اخترع الانسان فيه ما اخترع وابتدع فيه ما ابتدع ، واستخدم قوى البر والبحر والجو ، وطغى فى طموحه فبلغ السماء . ومع هذا كله لم يسعد الانسان ، ولم يشعر بالطمأنينة وراحة النفس . وها هوذا العالم اليوم يعيش فوق بركان من القلق والفزع ، وفوق زلزال من الحيرة والاضطراب ، وما يكاد العالم يتخلص من أزمة أو مشكلة ، الا ليستقبل أزمة ادهى أو مشكلة أمر .. وما ذلك الا لأن هذا التقدم المادى الحسى لم يصاحبه ما يماثله من التقدم الروحى النفسى ، بل نحن نعيش فى عالم لا يدين اكثره بالمثل العليا ، ولا بالعقائد الروحية . وقد انفصمت عرى الايمان فى النفوس ، وقل عمل الخير بمعناه الصحيح وضعف سلطان العدل ، وضاع صوت الحق فى رحمة الباطل ، ولو ان شخصا من السلف الصالح رجع الينا من عالم الخلد لهاله ما يرى .. اذ سيرى النادر من الناس وقد

ستقام على الطريق ،وحافظ على الحقوق ، وتخفف من العيوب، وسيرى فريقا خلط عملا صالحا بأخر سيىء ، ثم سيرى الكثير الغالب وقد تردى فى حمأة الخطأ واعوج منه السير .

وهذا الشقاء الانسانى بحاجة ملحة الى العلاج ، وقد يتفلسف البعض ويتعمق فى وصف هذا العلاج ، فيطيل ويرهق ، ثم لا يأتى الا بالفشل ، ولكن الحق تبارك وتعالى أنزل فى كتابه سورة تتكون من ثلاث آيات فقط ، ولا تستغرق اكثر من سطرين فى المصحف ، ومع ذلك يوجد فيها تشخيص العلة وتحديد الداء ، كما يوجد فيها طريق الخلاص ووصف الدواء ، وهى سورة (العصر) التى يقول فيها الامام الشافعى : « لو لم ينزل الا هذه السورة لكفت الناس » ، والتى كان الصحابه رضوان الله عليهم اذا اجتمع منهم اثنان لم يتفرقا حتى يقرأها احدهما على صاحبه الى آخرها ، ثم يسلم احدهما على الأخر ، وذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما فى هذه السورة من منهج السعادة وطريق الفلاح .

ومن العجيب ان العامة من المسلمين قد اعتادوا اذا اتفقوا على صفقة ، أو افترقوا من اجتماع ان يقرأوا سورة (الفاتحة) وهذه عادة لم تكن معروفة على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا على عهد صحابته . والاولى بالمسلمين ان يجعلوا سورة (العصر) مكان سورة (الفاتحة) فى مثل هذه المناسبات .

يقول الحق جل جلاله فى هذه السورة : (والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا ، وعموا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) •

أقسم الله بالعصر ، وهو الزمان الواسع المبهم ، والله لايقسم الا بماله منزلة ومكانة ، وكأنما قسم الله بالعصر لينبهنا على قيمة الوقت وكرامته ، وانه يجب علينا ان نملأه بالسعى الحميد والفعل المجيد ، وان نستغله أطيب استغلال ، وان نعمره بالصالحات والطيبات حتى لا نخسره او نغبن فيه ، فالرسول يقول : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) • وكم من مستخفين بقيمة الزمان مستطلين له حرموا فائدته واصابتهم الخيبة والخسران :

أليس من الخسران ان لياليا
تمر بلا نفع ، وتحسب من عمرى ؟

وينبهنا كذلك الى ان الزمن له طهارته وصلاحيته ، اذ لا عيب فيه ، لانه صالح لكى نملاه بما نريد ، وانما يصلح او يفسد اهل الزمان :

نعيب زماننا ، والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

« والعصر ، ان الانسان لفى خسر » ، أى فى ضلال ونقصان وحرمان ، لأنه بسوء تصرفه وقبح عمله يخسر الكثير ويفقد السعادة والطمأنينة ورضا الاله •• وقد خلق الله

الانسان ، وميزه بكثير من المواهب والملكات والعطايــا ، وسخر له مافى هذا الكون ، وهداه السبيل اما شاكرا واما كفورا ، واعد له امتحانا هو هذه الحياة بتجاربها ودروسهـا والوان الخير والشر فيها ، فرسب الكثيرون فى ذلك الامتحان وحكم عليهم ربهم بجزاء الرسوب وهو الخسران ، ونجح فيه أهل الخير الذين أحسنوا الاستعداد له ، واتصفـوا بالصفات الكريمة التى تؤهل للفوز المبين فى هـذا الميـدان ، ولذلك استثناهم ربهم فقال :

« الا الذين آمنوا » أى أيقنوا بوجود مبدع للكون مسيطر عليه ، يرضى الخير ولا يرضى الشر ، وايقنوا بجمال الفضيلة فتحلوا بها ، وايقنوا بقبح الرذيلة فتخلوا عنها ، « وعمـلوا الصالحات » أى ترجموا عن عقيدة الايمان بأعمال تزكيهـا وتنميها ، والصالحات هى كل عمل جميل حميد جاء بهالدين وقبلته الفطرة الطاهرة ، واستحسنه العقل السليم ، وانتفع به الفرد أو الجماعة فى الدنيا أو الأخرى ، كالعبـــادات المشروعة ، وخدمة الناس ، وبذل الأموال فى وجوه البر ، والعدل فى الحكم ، والاستقامة فى التصرف ، والجد فىالحياة والتحلى بمكارم الأخلاق ، وكلما اتسعت فائدة العمـــل الصالح فى الأفراد والجماعات ارتفعت مكانته عند الله عز وجل .

وانما تظهر ثمرة الايمان وقيمته بالعمل الصالحالملائم له، ولذلك اقترن ذكر الايمان فى القرآن بذكر العمل الصالح

فى أغلب المواطن ، ولا تكاد تذكر كلمة « الذين آمنوا » فى القرآن الا وتذكر معها كلمة « وعملوا الصالحـات » حتى تكررت عبارة : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » اكثر من خمسين مرة فى القرآن الكريم ..

واليك جانبا من هذه المواضع :

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيهـــا خالدون » .

ويقول فيها أيضا : « والذين آمنوا وعملوا الصالحـات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » . ويقول فيها أيضا « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

ويقول فى سورة آل عمران : « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين » .

ويقول فى سورة النساء : « والـــذين آمنـــوا وعمـــلوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا ، لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا» . ويقول فيها أيضا : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهـم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا

ومن أصدق من الله قيلا » • ويقول فيها أيضا : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله •• »

ويقول في سورة المائدة : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم »•

ومثل هذا جاء فى سورة الكهف ، الآيات ٢و٣٠و٤٦و١٠٧ وفى سورة الحج ، الآيات ١٤و٢٣ و٥٠ و٥٦ • وفى سورة العنكبوت ، الآيات ٧و٩و ٥٨ • وفى سورة الشورى ، الآيات ٢٢ و٢٣ و٢٦ • الى غير ذلك من المواضع •

« وتواصوا بالحق » •• أى أوصى كل واحد فى الأمة غيره بلزوم الحق وتثبيت هذا الحق فى نفسه ، وحضه على اتباعه والدعوة اليه والدفاع عنه ، والحق هو الشيء الثابت فى نفسه لاعتداله واستقامته ، وهو ضد الباطل ، فالمؤمنون الفائزون يتبادلون الوصية والنصيحة والتوجيه ، كل منهم يكون ناصحا ومنصوحا ، وموجها وموجها ، ولا يستكبر موص منهم أن يوصيه غيره ، فالمسلمون كما قال الرسول تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وعمر الفاروق ــ وهو من هو ــ كان يدعو لمن يأتيه بالنصيحة والتوجيه ،فيقول : « رحم الله امرأ اهدى الينا عيوبنا » .

« وتواصوا بالصبر » أى أوصى كل منهم أخاه بأن يصبر على الطاعات ويجد فيها ، وبأن يصبر عن الرذائل بدوام

هجرها والبعد عنها ، ولن يكون للتواصى بالحق والتواصى بالصبر قيمة الا اذا كان من يوصى بهما خاضعا لهما داخلا فيهما ، فلا جدوى لوصية من ينصح بالحق وهو على الباطل مقيم ، ولا ثمرة لمن يوصى بالصبر وهو لايتحلى به •

يأيها الرجل المعـــــلم غـــيره
هلا لنفسك كان ذا التعـــليم ؟

تصف الدواء للذى السقام وذى الضنا
كيمـــا يصح به وانت سقيـــم ؟

وقد كرر القرآن كلمة « وتواصوا » فقال : « وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » وكان يمكن ان يقال : وتوصوا بالحق وبالصبر ، وانما جاء التكرار للعناية بكل منهمـــا ولأهمية كل منهما ، ولأن الحق وحده يحتاج الى تواص والصبر وحده يحتاج الى تواص • وقد جمع الله بين التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، لأن الحق لايستغنى عن الصبر والصبر لافائدة له — بل ضرره محقق — اذا كان على غير حق والحق له تبعاته وتكاليفه ، وهو ثقيل على النفوس اذا لم تصبر له ، والحق له اعداء كثيرون يقاومون من يتمسك به ، وما اكثر اعداء الحق فى هذا الوجود .. فالظلمة والجبابرة والطواغيت والفساق واللصوص كلهم اعداء للحق ولأهل الحق ، فلابد لدعاة الحق من صبر جميل حتى ينشروا دعوته ، ولولا صبر اولى العزم من الرسل — وفى طليعتهم خاتمهم محمد — عـــلى الشدائد والمصاعب لما انتشرت دعوة الله فى العالمين •

ونحن ـ ابناء الاسلام وأتباع محمد عليه الصـــلاة السلام ـ أمة الحق ، لأن ربنا اسمه الحق ، وديننا دين حق ، وقرآننا كتاب ينطق بالحق ، ونبينا رسول الحق ، ما قامت السموات الا بالحق ، فلا كيان لنا الا بهذا الحق٠٠
الصبر هو شرعة الاسلام ، وهو الذى يعطى الله صـاحبه جره بلا حساب ، وقد جاء ذكر الصبر فى نحو ثمانين موضعا ن القرآن ، وما ذلك الا ليعلمنا الله الصبر الجميل ٠

هى اذن أربعة عوامل للنجاح والسعادة الحسية والنفسية فى الحياة والفوز برضا الله : الايمان ، والعمل الصالح ، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ٠٠ الايمان فى صدر الانسان كشجرة ناضرة مورقة ، تحتاج الى رى وغذاء موصول وهذا الغذاء هو العمل الصالح ، كما يحتاج الايمان الى تثبيت وتأكيد ، وهذا هو التواصى بالحق ، كما يحتاج الايمان الى حصانة وحفظ ، وهذا هو الصبر ٠٠ والله مع الصابرين ٠

فأين هذه العوامل فى دنيا الناس ؟ ٠ ان الغيـــور يتلفت يمينا وشمالا ليرى أضواء الايمان فتصدمه ظلمات الالحـاد والكفران ، فقد شاعت أمراض الزندقة والتطاول على الدين، وكثر جنود الدعوة الى الالحاد والسخرية من الأديان ،وظهرت الكتب والنشرات والصحف التى تهزأ بالألوهية وتنكروجود الله ، وتروج للوجودية واللادينية والتفسير المادى للتاريخ ، والقول بان الايمان بالقوة الالهية لون من طفولة الفكر البشرى أو تخدير لعقول الشعوب ٠٠ وأين المجال لعمل الصالحـات

والقربات اليوم ؟ ٠٠ من منا يفكر حين يسعى برجله أويبطش بيده أو يتحرك بجسمه ان يتقيد بالعمل الصــالح المرضى لله ولرسوله ؟ ٠٠ ومن منا يستطيع أن يقول ان المقامرة والسكر والفحش والرقص والتبرج الوقح والرشوة وسوء الاستغلال والتحلل من الأخلاق والاهمال لحدود الله من عمل الصالحات ؟

لقد أصبح الناس ولا هم لهم الا التفنن فى الحصول على رغباتهم وشهواتهم مهما كانت الوسيلة ، ومهما وطئوا فى مسيرهم غيرهم من الناس ، ومهما سحقوا بأقدام ملذاتهم وشهواتهم رءوس مستحقين مساكين او بائسين مظلومين ٠٠ واين الحق فى العالم اليوم ، وكل من بيده سلاح يريد ان يستعبد به المجرد منه ، أو يقضى عليه ان رفض العبودية ؟ ٠٠ أين الحق فى دنيا الناس وقد صار الهوى الها معبودا من دون الله ؟ ٠٠ ثم اين الصبر على اتيان مكرمة أو هجران مأثمة ، وقد أصبحت العجلة المأفونة والتقلب السريع شعارا لكثير من الناس ؟

وما ابعدنا عن الصبر ، أو ما أبعد الصبر عنا فى كثير من الأمور ٠٠ يطلب الشاب العلم حينا ، ثم يضيق صدره بطلب العلم ، فلا يصبر عليه ، فينقطع عنه ، ويخرج الى الحيــاة نصف متعلم أو ــ بعبارة أخرى ــ نصف جاهل ، فلا يكون له فى الحياة الفاضلة تاريخ ٠٠ ويقوم المرء بمحاولة فيفشل فيها أول مرة فلا يصبر ، ولا يكرر المحاولة مرات ومرات ،فلا يكسب الا الفشل وعدم الوصول ٠٠ ويتعرض داعى الخير

لبعض المتاعب ، فيضيق بها ، ولا يصبر عليها ، فيترك دعوته ويخلى سبيله ، ويركن الى القنوط ، ويوسوس الشيــطان للرجل بارتكاب الاثم ، فلا يقاوم ولا يصبر ، بل يستجيب للوسوسة ويستسلم ، ملقيا القياد امام الهوى فيوقعه فى الردى ٠٠

لقد رسم القرآن المنهاج ، وأوضح النبى الطريقة ، وبقى علينا التطبيق ٠٠ لنؤمن ولنعمل صالحا ، ولنتمســـك بالحق ونتواص به ، ولنلتزم الصبر وندع اليه ، نكن من الفائزين ، والله يهدى العاملين ٠٠ « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ٠



عقل وعمل

قام الاسلام على دعامتين هما : العقل والعمل ، فالانسان قد آتاه خالقه عقلا يفكر ويدبر ، فيدرك ويعرف ، ومن وراء ادراكه ومعرفته يتحرك شعوره وانفعاله ، فيرضى عن الشيء الطيب الجميل ويحبه ، وينفر من الشيء الخبيث القبيح ويبغضه ، ومن وراء هذا الانفعال يتحدد سلوك الانسان ، فاذا هو يمضى فى طريق ما ارتضاه من عقائد ومبادىء ، يتمسك بها ويطبقها ، وهذا هو العمل ، ولعل أئمة الاسلام قد ارادوا ذلك حين قالوا : ان الايمان اعتقاد وعمل ، فهو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان ، واداء للاعمال والأركان •

وقد أعطى الاسلام العقل من المكانة والتنويه مايجعلنا نقرر ونحن على ايمان واطمئنان أن العقل المؤمن هو رائد الانسان الماضى فى طريق الخير وحياة البر وصراط الفلاح ، والقرآن الكريم قد كرر كلمة « أفلا تعقلون » أكثر من عشر مرات فى مواطن التوبيخ للذين لايعقلون ولا يفكرون ، وقال: « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » • وقال : «ويجعل

الرجس على الذين لايعقلون » . وقال : « وتلك الأمثـــال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » .

كما أن الاسلام جعل العمل أساس الجزاء وميزان التقدير فقال القرآن : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) . وقال (انا لانضيع اجر من أحسن عملا » . وتكررت مادة « العمل » فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة ، وقال : « وأن ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » ، وقـــال : « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئـــك كان سعيهم مشكورا » .

ولقد اعطى سيد الأنام محمد عليه الصلاة والســـــلام المثل والقدوة من نفسه ، فلم يتكل على أنه رسول الله أو حبيب الله أو خير خلق الله أو اقرب الناس الى الله ، بل عمل وجاهد فى سبيل الله ، وحمل آله وذريته على أن يعملوا ،ولا يتكلوا على قرابة أو شفاعة أو مخالطة للرسول ، فقال لأهله «ياآل محمد ، لا يأتينى الناس بالأعمال وتأتونى بالانساب ، اعملوا فانى لا اغنى عنكم من الله شيئا » وقال لأعز الناس عليه وهى ابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد ، اعملى فانى لا اغنى عنك من الله شيئا » ، وقال : « ان اوليائى المتقون حيث كانوا واين كانوا » ، فليس أولياؤه واحباؤه هم الذين ينتمون اليه بصلة النسب أو القرابة دون ان ينهجوا نهج

المسلمين . أو يعملوا عملَ الصالحين ، وانما هم سائر المؤمنين من كل من استقام اعتقادا ، وطاب قولا ، وصلح عملا ، ولذلك قال بعض الأئمة : « العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين » وفى طليعة هؤلاء بطبيعة الحال الطاهرون الطيبون من آل الرسول الأمين .

والاسلام لم يجعل لغير الله شأنا أو دخلا فى النفع أو الضر ، فهو وحده الذى يعطى ويمنع ، ويرفع ويضع ، ويضر وينفع ، بيده مقاليد السموات والأرض ، واليه تصير الأمور ، وليس بجوار سلطانه وجلاله أى شأن لبشر أو حجر أو أثر ، واذا قيل ان هناك بيضة باضتها دجاجة وقد كتب عليها اسم الله أو اسم الرسول(١) ، فان هذه البيضة لاتكتسب بذلك عبادة أو قداسة ، والا كان ذلك اشراكا بالله عز وجل ، وهذا لايمنع أن يطيل الانسان النظر ـ اذا صح الخبر ـ فيتذكر ان الله قادر على كل شىء ، وان له فى كونه آيات وعلامات ولكن اذا دلنا الشجر أو المدر او النهر على الله فلتشغلنا بعد ذلك عظمة الخالق عن تعظيم المخلوق .

ولقد حز فى النفس حينا ان نرى الثائرات تثور ، والفتنة تتسع ، والأرواح من المسلمين تزهق فى الهند منذ حين ، بسبب ضياع شعرة قيل انها من شعرات الرسول الاعظم

---

(١) قيل ان ذلك قد حدث فى الهند منذ سنوات .

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الأولى ان تراق هذه الدماء الزكية المسلمة فى مجال غير هذا المجال ، وميدان غير هذا الميدان ، وان كنا نعرف فى الوقت نفسه أن أكثر العلماء يرون أن التبرك بآثار النبى - اذا صحت نسبتها وثبتت - أمر مشروع ، فقد كان الصحابة يتبركون بعرقه وماء وضوئه وثيابه وشعره ، لما يعمر قلوبهم من الثقة به والحب له ، وان كان بعض الأئمة - كالشاطبى - يرى أن الاقتصار على الاستعانة بالعمل الصالح اولى ، لأن الرسول رأى صحابته ذات يوم يسارعون الى ماء وضوئه ليتبركوا به فقال لهم : لم تفعلون هذا ؟ فأجابوا : نلتمس الطهور والبركة • فقال سيد الأنام : « من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث ، وليؤد الامانة ، ولا يؤذ جاره » •

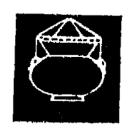
والذى تحدثنا به سيرة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم أنه كانت له آثار ، وكانت هذه الآثار موضع الاعزاز والاكبار ، لما كانت تثيره من اعتبار وادكار ، ولكن تطاول الأزمان وتعدد الفتن واختلاف الأيدى جعل هذه الآثار فى خبر كان ، فلا يستطيع شخص اليوم أن يقرر جازما موقنا متأكدا ان هناك أثرا حقيقيا من آثار الرسول باقيا بيننا معروفا لنا لم يتطرق اليه الشك أو الريب ، وما أكثر الآثار التى تنسب الى الرسول ويزعم الزاعمون أنها منه وأنها له وبقيت بلا دليل أو برهان ، فلم تصح مثلا نسبة هذه الأحجار التى يقولون ان النبى داس عليها بقدمه فأثر فيها .

وقال الامام ابن تيمية أن مايروى فى ذلك من اختراع الجهال ، وان من يزور تركيا مثلا يجد فى كل منبر من منابر مساجدها صرة يقولون ان فيها شعرات من شعرات النبى صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا يقال عن بلاد أخرى غير تركيا ، ولكن الأدلة غير متوافرة لتبيين صحة النسبة فى هذه الشعرات الى خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام ، وليس بمعقـول أن يكون المأثور من الشعر الطهور ــ ان وجد ــ بهذه الكثرة ، ولو فرضنا ووجدت آثار من هذا القبيل فواجبنا شرعـــا الا نتجاوز فى أمرها حده ، اذ لايجوز فى دين العقل والعمل : دين الاسلام العظيم ، أن يعتمد الانسان فى تقرير مصيره أو محو ذنوبه على مجرد التقديس أو الاجلال لهذه الآثار : « فاعبد الله مخلصا له الدين » ، « ألا لله الدين الخالص » .

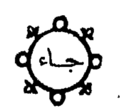
ولنتذكر تصرف الفاروق عمر بن الخطاب فى شجـرة « بيعة الرضوان » ، وهى الشجرة التى وقف الرسول تحتها عند الحديبية ، وبايع الفا وخمسمائة من أصحابه على الثبات فى القتال وعدم الفرار ، وقال لهم : (انتم خير الناس) وقال عنهم : (لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة) ، وزكى القرآن هذه الشهادة حيث قال : ((لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » . وكان عمر حاضرا هذه البيعـة وكان آخذا بيد النبى فى أثنائها ، والنبى واقف تحت الشجرة ومع ذلك حينما رأى عمر ان الناس بعد ذلك اخذوا يأتون

هذه الشجرة ويصلون عندها ويتبركون بها ، خاف المصير فأمر بقطعها ، ليشعر الناس بان المعبود هو الله واجب الوجود وخالق كل موجود : « الله لا اله الا هو الحى القيوم » .

أنعم وأكرم بكل أثر أو أمر يتصل حقيقة برسول الله وحبيب الله ورحمة الله عليه صلوات الله وسلامه ، انه أن صح يكون خير تذكار وأقوى مثير للاعتبار ، وان بين أيدينا اعظم آثار سيد الانسانية وامام البشرية محمد ، وهذا الأثر باق خالد واضح ، وهو سنته الثابتة الصحيحة ، فهى الضياء والدواء ، وفى الاهتداء بها طاعة لخالق الأرض والسماء « من يطع الرسول فقد اطاع الله » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدون فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . فلنتتبع هذا الأثر ولنستجب لكل ما نبت فيه من خير ، نكن من الفائزين .



إحسان المعاملة



الاسلام الحنيف ليؤدب الانسانية ويهذبها : فى اعتقادها وأقوالها وأعمالها وسائر تصرفاتها ، ولذلك اختار الله لرسالته نبيا اصطفاه من خلقه ، وصنعه على عينه ، وجمله بالصفاء والنقاء ، والطهر والعلاء ، وقد ترجم الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ذلك بقوله : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، كما أشار الى أن العنصر الجليل فى رسالته هو تطهير النفوس ، وتقويم الطباع ، وتهذيب الأخلاق ؛ فقال : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » !

وأحق ألوان التأديب الانسانى بالعناية والرعايه هو ما يحقق حسن العلاقة بين الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه ، لأن خير الناس أنفعهم للناس ، ولأنه ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، ولذلك أعطى الاسلام ناحية الآداب الاجتماعية مزيدا من احتفائه واهتمامه وحق له ذلك ، فان الدين المعاملة!

وهو يعلم كل فرد من أبنائه أن ينظر الى مجتمعه الذى يعيش فيه ويرتبط به كنظرته الى أسرته وعائلته ، فأفراد

هذا المجتمع هم أخوته وأحباؤه ، واقرانه وأعزاؤه ، فليكن بينه وبينهم ما يكون بين الأشقاء من التعاطف والتراحـم . والتعاون والتضامن ، والتجاوب فى الاحساس ، والتبـادل فى الشعور !

والقرآن الكريم يشير الى هده الوحدة الاجتماعيـــه حين يقول : « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فأعبدون » ويقول « انما المؤمنون اخوة » ، ويقول «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا » . ويقول الرســول صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمـه ولايخذله ولا يكذبه ، بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخـاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .

والاسلام يحرص على ان يطبع المسلم بالصبغة الاجتماعية الكريمة ، الناشئة عن صواب التفكير ، ودقة التمييز ،وحسن التصرف ، فيذكره بأن الحياة مجال رحيب واسع ، قـد يختلط فيه الحق بالباطل ، وأن الدنيا بحر لجى ، قد تتلاطم فيه أمواج الخير بأمواج الضلال ، وعلى الرشيد العاقـل أن ينظر ويميز ويختار !

والقرآن الكريم يقول عن الانسان « وهديناه النجدين » اى عرفناه طريقى الخير والشر ، و « النجد » فى الأصـل هو المكان المرتفع ، فكأن كلا من طريق الخير وطريق الشر

ظاهر واضح كالمكان المرتفع .. ويعود القرآن الكريم فيفرق بين من شكر ومن كفر فيقول : « انا هديناه السبيل : اما شاكرا واما كفورا » . اى أرشدناه الى الطريق المستقيم باظهار الدلائل ، وانزال الآيات ، وهو اما أن يشكر ربه بالاهتداء اليه والاستجابة له ، واما أن يكفر بالاعراض عنه !!

ثم يقرر القرآن أن السعيد المفلح هو من جعل نفسه صالحة مصلحة ، نافعة منتفعة ، وأن الشقي الخائب هو من جعل نفسه فاسدة مفسدة ناقصة منتقصة ، فقال « ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » ، أى فاز ونجح من طهر نفسه وأنماها بالعلم الصحيح والعمل النافع له ولسواه ، وقد خسر وخاب من دساها ، أى نقصها وشانها بالجهالة والفسوق والتقاصر عن مراتب الكرامة ومواطن الشرف !!

واذا ما استجاب المسلم لنداء دينه ، فكون في نفسه شخصية اجتماعية كريمة نافعة ، أخذ الاسلام بيده ليرشده الى الأساس الوطيد والركن الركين فى قواعد الآداب الاجتماعية المثالية ، ويلخص به هذا الأساس فى كلمة واحدة هى « الاحسان » .

والاحسان هو اتيان الجميل : اعتقادا او قولا او عملا ، وهو مرتبة فوق مرتبة العدل فى التصرف والمعاملة ، لأن العدل هو أن يعطى المرء ما عليه ويأخذ ما له ، والاحسان هو ان

يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، ومن هنا جمع الله بين العدل والاحسان فى قوله : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » !

والاسلام يأمر أبناءه بشرعة الاحسان الى المجتمع ممثلا فى كثير من أفراده وعديد من طوائفه ، فيقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لايحب من كان مختالا فخورا » !

وهو يأمر بالاحسان الى المجتمع فى القول والعمل والاعتقاد ففى القرآن المجيد : « وقولوا للناس حسنا » ، وفيه : « وأحسن كما احسن الله اليك » ، وفيه : « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ، وقال اننى من المسلمين ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » !

وقد فسر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الاحسان بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » ، ومتى وصل المرء الى هذه الدرجة من مراقبة الله والخوف منه ، كان سباقا الى احسان المعاملة مع الناس ، لأن الخلق

عبد الله وعياله ، ومن أفضل القربات الى الله أن يحسن الى عباده هؤلاء ، حتى يجمعه معهم رباط الحب لله ، والمودة فى الله ، وحتى يحقق ما أراده الاسلام وحرص عليه من اشاعة المحبة والأخوة بين جميع المؤمنين •

وها هو ذا رسول الله ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ يخبرنا بأن حلاوة الايمان توجد حينما نعمر دنيانا بهذه المحبة الشاملة ، فمحبة لله وللرسول ، ومحبة للناس بلا غرض أو مرض ، ومحبة للعقيدة الصحيحة والايمان السليم، يقول : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود الى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار » •

فلنتأدب بآداب الاسلام فى علاقاتنا مع الناس ، ولنطهر أنفسنا بهدى الله وتعليمه ، ولنستمسك بشرعة الاحسان على كل حال ، فان الله لايضيع أجر المحسنين •



التفاؤل سرّ النجاح

إن الحياة كثيرة المتاعب جمة الشدائد ، والانسان فى معتركها يجاهد ليسعد ويحيا حياة تليق بخلافته فى الأرض ، ولابد له من الكفايات والوسائل والأسباب التىيواجه بها الحياة القاسية ليتغلب عليها ، ومن الواجب عليه ان يزيد فى هذه الأسباب يوما بعد يوم كلما هداه التفكير أو ساعدته التجارب ، ولقد شاءت رحمة الله العلى القدير أن يأخذ بيد الانسان ليعرفه سبيل الوصول الى كثير من هذه الأسلحة والوسائل ، ولكن الانسان لضعف كثير من أفراده واستجابتهم لدواعى الأوهام والمخاوف ، واستنامتهم الى الفتور والانحلال، أعرض عن هذا النور ، وأخذ يخبط حائرا فى الظلمات ، ويتردى خائرا فى مهاوى العلل والعاهات ، ولعلنا حينما نتروى فى التفكير والاستعراض ، نجد أن أخطر هذه العلل هو داء التطير والتشاؤم ! وكم من ضحايا ذهبت لقمة سائغة فى جوف هذا الأسد الهصور ! والأصل فى التطير والتشاؤم أن القوم كانوا فى ظلمات الجاهلية اذا اراد احدهم الخروج لقضاء أمر نظر ، فان رأى طيرا يطير عن

يمينه تيمن واستمر فى عمله ، وان وجده يطير عن شمـالـه تشاءم منه ورجع ، وظلوا على هذه الجهالة حتى جاء الاســلام بنوره ، فحارب التطير ونهى عنه النبى بقوله عليه الصــلاة والسـلام : « ليس منا من تطير » وقوله : «لاعدوى ، ولاطيرة ويعجبنى الفأل الصالح (أى الكلمة الحسنة) »

وقد نعى القرآن الكريم على الأمم السابقة أنها كانت تتطير بانبيائها وتعرض عنهم ، فقال عن آل فرعون : « فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » ٠ وقال عن جواب ثمود لنبيهم صالح : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك » ٠ وقال عن أهل (أنطاكية) القرية التى جاءها المرسلون : « انا تطيرنا بكم » ٠ وقد صب الله على هذه الأمم سوط عذابه ، وكتب عليها العقاب الأليم ، وبئس المصير !

وعلى الرغم من هذا النهى الصريح واللوم الشديد ، يوجد التشاؤم والتطير بيننا حتى اليوم !٠٠ ألسنا نتشاءم من الزواج فى صفر ، ومن نعيق الغربان واليوم ، ومن كسر الأوانى والأكواب ، ومن اضطراب العيون ، ومن بعض الارقام ،ومن رؤية بعض الأشخاص ، ومن غير ذلك من الأشياء ؟! ، السنا نهلع لأقل بادرة ، ونضطرب من أتفه سبب ، ونغـــرب فى تأويل الأشياء ، ونسيء استقبال الحوادث ، ونتردد حتى فى الأعمال العادية والواجبات اليسيرة ؟! ، ألسنا اذا هممنا بعمل كبير أو صغير حسبنا له ألف حساب ، وخشينا النتائج حتى ولو كانت سارة ، وان قابلتنا فى أول الطريق عقبة هينة أو

جهد قليل أو حادث يوحى مظهره بانه غير جميل ارتددنا عن غايتنا ، وتطيرنا من هذا العمل ، وتوهمنا خاطئين انه لن يكون من ورائه نجاح ، وبذلك التطير ضعفت فينا الهمم ، وقصرت العزائم ، وتسابق الناس الى المجد ، ورضينا نحن بعميـــق النوم وطائش الأحلام .

الا ان شريعة محمد الحكيمة المعمرة تباعد بين أهليهـــا وبين التطير ، لأنه يسود الحياة فى وجوههم ، ويثبط العزائم فى قلوبهم ، ويجعلهم لاينهضون بعظائم الأمور وجلائل الأعمال وهى تحببهم فى التفاؤل لأنه يوقظ العقل ، ويدعو الى النشاط ويبعث على الاقدام ، ويحرر الانسان من عبودية الأفكار السود والخيالات الكاذبة والاحتمالات البعيدة ، ولذلـــك روى أن الرسول الكريم كان يتفاءل ولا يتطير ، ويحب الاســـــم الحسن ، حتى انه لما قدم المدينة نزل على رجل من الأنصـــار ، فصاح الرجل على غلاميه قائلا : ياسالم ، يايسار . فسر رسول الله وقال متفائلا : « سلمت لنا الدار فى يسر » . وكذلـك روى أنه ذكر لأصحابه رضوان الله عليهم ان هناك سبعين الفا من أمته سيدخلون الجنة بغير حساب ، فقيل له : من هم يا رسول الله ؟ فقال : (الذين لا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون) وحق لهؤلاء ان يدخلوها بغير حساب ، فتلك شيمة الخيرة من أولياء الله الصالحين .

بل انظروا الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يهيىء للانسان طريق الأمن من الوساوس وأحاديث الشيطان ،

فيوصيه بأنه اذا رأى فى النوم رؤيا سيئة الا يفكر فيها ، بل يحاول ابعادها عنه بأية وسيلة ، فنراه يقول ما معنـــاه : « الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السيئة من الشيطان ،فاذا رأى أحدكم فى منامه شيئا يكرهه ، فلينفث من فمه حين يستيقظ ثلاث مرات ، ويتعوذ من شرها ، فانها لا تضره »
قال أبو سلمة : لقد كنت أرى الرؤيا أثقل على من الجبل ، فما هو الا أن سمعت هذا الحديث فما أباليها ؟ .. وهذا هو الشاعر العربى يبين عن روح صافية ونفس مشرقة وهمة غلابة ، بعد أن طبع بطابع التفاؤل الجذاب ، فلا يستخلص مما يعرض له الا الخير ، حتى ولو كان هذا العارض فى ظاهره أو فى عرف الناس مذموما فيقول :

وقال صحابى : هدهد فوق بانة   هدى وبيان بالنجاح يلوح !
وقالوا : دم!دامت مواثيق بيننا   ودام لنا حلو الصفاء صريح!

وهاهم أولاء زملاؤه الظرفاء المتلطفون أيضا ، يسيرون على نهجه فتحمد أفعالهم ، ويشكر حسن تصرفهم وتفاؤلهم ، فقد حدث أن تساقطت النجوم على عهد أحمد بن طولون ، فراعه ذلك ، وأحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم :ماعندكم فى ذلك ؟ فما أجابوا بشيء ، حتى دخل عليهم « الجمـــل » الشاعر وهم في الحديث ، فلما علم بالموقف أنشد :

قالوا : تساقطت النجـو   م لحادث فظ عسـير
فأجبت عنــد مقالهـــم   بجواب محتنك خبير :
هذى النجـوم الساقطات   نجوم أعداء الأمير !

فتفاءل ابن طولون واستبشر ، وأمر لذلك الشاعر بجائزة سنية ، وقال للحاضرين : أف لكم ! أما فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا !؟ •

وحكي انرجلادخل على كافور الاخشيد صاحب مصر فدعا له ، وقال فى دعائه (أدام الله أيام مولانا » بكسر الميم من كلمة (ايام) فتحدث الناس فى ذلك وعابوه تطيرا ، فقام رجل من وسط القوم ، وأنشد مرتجلا :

لا غرو ان لحن الداعى لسيدنا
أو غص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيبته حالت جلالتهـــا
بين الأديب وبين الفتـح بالحصر
وان يكن خفض « الأيام » من غلط
فى موضع « النصب » لا عن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيـــدنا
والفأل نؤثره عن سيــد البشر
بأن أيامـــه خفض بلا نصب
وان أوقاته صفو بلا كـــدر !

وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان ، فسقـط القضيب من يده ، ففرح بذلك عدوه وتوقع له الشر ، واغتم صديقه وحزن ، فعرف ذلك قتيبة ، فأراد بروحه المؤمنة ان يقلب التطير تفاؤلا ، كي لايتخاذل أنصاره ، فأخذ القضيب

وقال : « ليس الأمر كما ساء الصديق وسر العدو ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

أضف الى ذلك أن المتشائم كالمدعى لعلم الغيب ، أو الذى يتنبأ بما سيحدث ، وفى هذا مافيه من تطاول على العليم الخبير ، الذى تصير اليه الأمور ، وبيده المقادير ، وفيه اشراك لغير الله معه فى القضاء والقدر ، ولذلك يروى أن جليسا لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما سمع نعيب غراب فقال : (خير ، خير) فاعترض عليه ابن عباس قائلا : « ماعند هذا ؟ لاخير ولا شر ! » .

« ولا نقصد بالتفاؤل أن نغمض اعيننا عن الحقائق ، ونتائج الأمور ، بل نقصد أن نعتاد فى تفكيرنا النظر الى الأشياء بعين الأمل والرجاء ، لابعين اليأس والقنوط ، ومن الناحية المضيئة من الطريق ، لا من الناحية المظلمة الحالكة ، لأن المتفائل يرضى بالماضى ويثق بالمستقبل ، ثم يؤدى الواجب ، ويترك النتيجة لله سبحانه وتعالى ، ومن الحكمة أن نرجح جانب الخير على جانب الشر ، واللين على الشدة ، والتعقل على الطيش ، والنور على الظلام » (١)

فان قال قائل : كيف تحذرنا من التطير مع أنه طبيعة فى الانسان ، حتى لقد روى أن النبى قال : « ثلاثة لايسلم

(١) من كتاب « الشخصية » بتصرف .

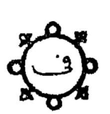
منهن أحد : الطيرة والظن والحسد · قيل له : فما المخرج منها يارسول الله ؟ · قال : اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ » ! ان قال قائل هذا هتفنا به : انك لو تدبرت لعرفت الجواب بدون مجيب ، لأن انقباض النفس واشمئزازها من الأصوات المنكرة والحوادث الكريهة شيء من طبائع البشر ، لايمكن اقتلاعه حقيقة ، وانما ينهى الرسول عن الآثار السيئة التي يأتيها الانسان نتيجة لتطيره وانقباضه ، كرجوعه عن عمله ، أو بلبلة الفكر بالوساوس ، أو اعتقاده أن هذا الحادث أوذاك الصوت سيكون سببا في تغيير شيء من القضاء والقدر ، أو دليلا على ما يتأتى في المستقبل منهما ·

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع !

ولذلك أمر النبي أتباعه بألا يرجعوا عن أعمالهم اذا تطيروا فقال : « اذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » · ويقول « لاينال الدرجات العلا من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيرا » ، وما يريد الرسول بذلك الا أن يبث الشجاعة والاقدام وعدم الخوف في نفوس المسلمين !

فلا تتشاءموا وكونوا أقوياء ، وأقبلوا على الحياة بعزيمة وثابة وجد مثابر ، وفسروا الأشياء التفسير الجميل ، ولا تحملوها على الشر وأنتم تجدون لها في أبواب الخير مخرجا ، والله الهادى الى سواء السبيل ·

سكينة النفس



في الحياة أناس يظلون طيلة أعمارهم طامعين راغبين ، عاملين ناصبين ، لا يكتفون بشىء ، ولا يقفون عند حد ، ومع ذلك هم لايذوقون للسعادة أو الهناء طعما ، فلاهم وفروا جهودهم أو خففوا غلواءهم ، ولاهم تمتعوا بثمار تعبهم ونصبهم ، بل هم كالغرابيل التى لاتحفظ حبا ، أو كالأنابيب المخرقة التى لاتصون ماء ، تراهم يجمعون ولا يقنعـــون ، ويأكلون ولا يشبعون ، ويأخذون ولا يعطون ، ومع ذلك هم لايسعدون ٠ وصلوات الله وسلامه على محمد يوم أخبرنا بأن المؤمن يأكل فى معى واحد ، وأما الكافر فانه يأكل فى سبعة أمعاء ، ويوم أخبرنا بأنه لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى معه الثانى ، ولو كان معه الثانى لتمنى معه الثالث ، ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب ٠

ومن طبيعة المرء فى هذه الحياة أن تطمح عينه الى كثير من الرغبات والآمال ، كالصحة والمال والشهرة والتعالى على

العير . وقد يكون لهذه الأشياء فائدتها أو بهجتها ، ولكنهـا وحدها لاتكفى لتحقيق السعادة أو الراحة فى هذه الحيـاة . بل لابد معها أو قبلها من سكينة القلب وطمأنينة النفس ، اذ بهذه السكينة وهذه الطمأنينة يستطيع الانسان ان يشبع وأن يقنع ، والقناعة كنز لايفنى ، وسكينة القلب هى النعمة العظمى والهبة الكبرى التى يدخرها الله لأصفيائه وأوليائه . وهو سبحانه قد يعطى المال أو الصحة أو الشهرة لكثيرين من الناس ، ولكنه يعطى السكينة بمقدار ، ويخص بهـا المختارين من عباده الأبرار ، ولذلك قال عز وجل : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما » وحدثنا فى أكثر من موضع من القرآن الكريم بأنه أنـزل « سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » .

والسكينة نور فى القلب يسكن اليه صاحبه ويستضىء به وهى تقتضى زوال الخوف والرعب والانزعاج والقلق . كما تصحبها يقظة العقل الذى يرد صاحبه الى الصراط فى عـزم وحكمة اذا اندفعت النفس نحو الشهوات أو خسيس الأهواء لأن أعدى أعداء الانسان نفسه التى بين جنبيه ، وهى انمـا تكون أعدى أعدائه اذا انفلتت من زمامها ، وانطلقت عـلى

وجهها ، واستجابت لأهوائها ، فكانت كالجواد الجامح الأرعن الذى لايصده عن جموحه الا صدمة قوية عنيفة ، أو موتة مفاجئة ، بل تصير النفس حينئذ كجهنم التى لاتشبع ولا تكتفى : « يوم نقول لجهنم هل امتلات ، وتقول هل من مزيد » .

واما اذا ملك الانسان هذه النفس ، وأخضعها لأمر الله ، واخذها بهدى الله وتقاه ، صارت هادئة آمنة مطمئنة ، تمر بها الأحداث والملمات ، فلا تزلزلها ولا تهدمها ، لأنها تاوى الى ركن شديد ، هو ركن الله العزيز المجيد ، وتأتيها المغانم والمسرات ، فلا تغرها ولا تطغيها ، لأنها تؤمن بأن ما عند الله خير وأبقى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » ، ومن هنا أخبرنا القرآن الكريم بأن الايمان المصحوب بذكر الله الدائم هو مفتاح السكينة والطمأنينة : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . ومتى اطمأنت النفس فقد بعد عنها توهم الأخطار وتخيل المخاوف وتصور المتاعب قبل حدوثها ، وليس هناك كالقلق يذهب بالنعيم ويأتى بالشقاء ، فهو السرطان النفسى الخبيث ، الذى يملأ دنيا المرء بالخوف والحزن ، مع ان الحق تبارك وتعالى يريد من عباده الأبرار ان يستعلوا على صغار الخوف وهوان الحزن ولذلك ينفيهما عنهم ، فيقول: « الا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى

الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » . « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » « فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ، « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

واذا أبعد المؤمن من دنياه الخوف والحـزن واستضـاء بنور الله ، صار قويا فى الحق ، جادا فى ميدان الصـــدق ، مقبلا على الله فى عزيمة ، متباعدا عن الأثم فى رشاد ، يألف قلبه الصراط المستقيم ، ويهتدى اليه دائما ، ويضيق صدره من الباطل وجنده ، فيصبح قلب المؤمن دليله وقائده ومرشده ورائده ، وقد جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى مرفوعا (اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله) ثم قرأ «ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » أى المتفرسين المتأملين . وروى عن وابصه الصحابى قال : « اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « جئت تسأل عن البر والأثم ؟ . قلت نعم . قال استفت قلبك ، البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ماحاك فى النفس ،وتردد فى الصدر، وانافتاك الناس وأفتوك » ، واذا أبصر الانسان طريقه المعتدل فى هذه الحياة ، فآمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا ،

وبالقرآن هاديا واماما ، وبالطمأنينة شعارا ، وبالسكينة رمزا وعنوانا ، فقد فاز بنعيم العاجلة والآجلة : «ياأيتها النفس المطمئنة ، أرجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

وسكينة النفس تحمل صاحبها على أن يكون كريم الشعور نحو غيره من الناس ، فلا يكون محبا لذاته فقط ، بل يوفق بين الرغبات الخاصة والرغبات العامة وهى رغبـات الآخرين ، وربما ارتفع الانسان فى شعوره النبيل فقدم غيره على نفسه، وتلك هى فضيلة الايثار التى جعلها القرآن حلية المؤمنين السابقين فقال فيهم :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . والانسان حين يحركه ذلك الشعور النبيل يتذكر على الدوام أن الناس كلهم من أصل واحد وطينة واحدة ، وهم لأب وأم واحدة ، فيجب أن تقوى بينهم أواصر الأخوة والمحبة وروابط الأسرة المشتركة ،ولذلك يقول أحد الحكماء ، (لست أسمى الانسان خيرا اذا كان ينسى أن حلاقه وطباخه وسائس خيله مخلوقون من نفس الطين البشرى مثله »

والاسلام يحرص على تثبيت دعائم السكينة فى قلوب أبنائه باشاعة الحب بينهم ، فهم يحبون ربهم : « والذين آمنوا أشد حبا لله » ، وهم يحبون رسولهم أكثر من حبهم لآبائهم وأمهاتهم . وهم يحبون جيرانهم ، لأن جبريل عليه السلام مازال يوصى محمدا بالجار حتى ظن محمد أنه سيورثه ، وكل منهم يحب أخاه ، لأنهم أبناء أمة واحدة : « انما المؤمنون أخوة » وكل منهم يحب لغيره ما يحب لذاته . لأن الحديث يقول : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وهم لايحملون حقدا ولا ضغنا لأحد ، بل يسعون فى الخير للجميع ، ففى الحديث « خير الناس أنفعهم للناس ».

واذا شاع هذا الحب بين الناس اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم وفاضت ينابيع السعادة من حولهم . فتراهم يكفيهم القليل . ولا يزدهيهم الجليل ، ومن المؤسف أن كثيرا ممن أضلهم الله لايفكرون فى الحصول على ما يحتاجون اليه فقط . بل هم يفكرون أيضا فيما يحصل عليه غيرهم ، وكلما رأوا الآخرين حصلوا على أشياء أكثر منهم ضايقهم ذلك وضاقوا به ، وقد لاينالون ما بأيدى سواهم ، وقد لاينتفعون بما في أيديهم ، ولو أنهم رضوا وقنعوا لصار الكوخ الصغير عندهم قصرا رحيبا ، ولكنهم طمعوا وحقدوا ، فصار القصر فى نظرهم سجنا مرهقا ، وحملا مشدودا حول رقابهم ، مع أن

الاسلام يعلمنا أن نرضى بما سيق الينا ، فيقول الرسول : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » ويقول : « ليس الغنى غنى كثرة العرض (المال) ولكن الغنى غنى النفس »

وليست هذه دعوة الى الكسل أو البلادة أو عدم بذل المجهود ، بل هى دعوة لتنظيم الشعور ، وضبط العاطفة ، وحسن الاستمتاع بما نحصل عليه ، وعدم الحقد على غيرنا لأنه نال مالم ننل ، والسعى بعد ذلك هو قانون الاسلام العام : « وأن ليس للانسان الا ماسعى »

ان الأزمات تقبل ثم تدبر ، وان الغمرات تمتد ثم تنحسر، والمعادن الكريمة يظهر ثباتها وأصالتها حين تمحيصها بالنار واللهب ، ثم تنطفىء النار ويظل الذهب ذهبا كما كان فلنخض لجة الحياة بالقلوب المؤمنة الثابتة ، والأجسام الشديدة المحكمة ، والعزائم القوية الراسخة ، والنفوس الراضية الشاكرة ، نبذل جهدنا ، ونستعين ربنا ، ونستمتع بما جاءنا ، ونتحمل ما يصيبنا ، ونرضى بقضاء الله وقدره فينا ، ونستفيد من ابتلائه واختياره لنا : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انالله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » .

صعد

الانسان الى القمر ثم عاد الى الارض سالما ،ولا شك ان الانسان بهذه المحاولة يحقق انتصارا علميا باهرا ويشعر الانسان العاقل المفكر بانه ليس شيئا ضئيلا فى الحياة ، ولا مخلوقا ، تافها فى الدنيا وكيف وهو خليفة استخلفه الله فى أرضه ، وصنعة ربه التي خلقها وسواها وعدلها فى أى صورة ماشاء ركبها .

ونحن المسلمين أمام هذا النصر نردد قول نبينا عليه الصلاة والسلام « الحكمة ضالة المؤمن ، يأخذها من أى وعاء خرجت فلا يضيرنا هنا ان نختلف مع الذين حققوا هذه المحاولة فى كثير أو قليل من العقائد أو المبادىء ، بل يعنينا ان نتذكر ان هذا الحدث العلمى الكبير يمكن تعقله وتصوره فى ضوء القرآن الكريم ، فالله عز وجل يقول لنا فى كتابه الكريم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وهو بذلك يغرينا بالبحث والنظر ، ويحرضنا على التأمل والكشف .. ويدفعنا الى الازدياد من العلم والمعرفة ، ولذلك يقول : (وقل رب زدنى علما) ويقول : (علم الانسان ما لم يعلم) وعلى هذا تكون

كل خطوة يخطوها الانسان لكشف مجهول ، او معرفة مستور او ادراك حقيقة من حقائق الكون ، او استخدام قوة من قوى الطبيعة ، فضلا من الله على عباده في باب العلم ، والله ذو الفضل العظيم .

وهناك فريق من الناس يحسب ان مثل هذه الكشوف العلمية يتعارض مع النصوص الدينية ، وهذا غير صحيح ، فالله تبارك وتعالى قد دفع عباده دفعا الى هذه الكشوف حينما قال لهم: « قل انظروا ماذا في السموات والارض » .. وحينما قال : (الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) . وبعض المفسرين يستنتج (١) معنى غزو الفضاء من قول الله تعالى . (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) ويقول : ان الله تعالى قد علق النفاذ من الاقطار على السلطان والسلطان هنا هو سلطان العلم والمعرفة . وهذا السلطان من فضل الله وبمشيئته . والمفسر الالوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، يذكر في هذه الاية هذا التفسير : (ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا بما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا بحجة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم) .

---

(١) قد يحتاج هذا الاستنتاج الى شيء من المراجعة .

والالوسى نفسه يشير فى موطن أخر الى أمكان ما يتحدث به الباحثون منذ حين من وجود مخلوقات حية فى الكواكب الاخرى ، فعند تفسير قوله تعالى فى سورة الشورى : (ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) ، يذكر ان (الدابة) هى الحيوان الذى له دبيب وحركة ، وتطلق هذه الكلمة على الانسان وغيره من الحيوان ، ويذكر ان ظاهر الاية يفيد وجود هذه الاحياء فى السموات والارض ، وانه ثبت فى صحاح الاحاديث ما يدل على وجود الدواب فى السماء ، بل لا يبعد أن يكون فى كل سماء حيوانات ومخلوقات على صور شتى وأحوال مختلفة لا نعلمها : (ويخلق ما لا تعلمون) .

وهناك فريق آخر يتوهم أن تتابع هذه الكسوف سيؤدي الى زعزعة الايمان بالله ، أو ضعف الاعتزاز بالدين . وهذا غير صحيح ايضا ، بل على العكس من ذلك ستؤدى هذه الكشوف الى ازدياد الايمان وقوة اليقين . لان كل واحد منها يعطينا دليلا جديدا على سعة ملك الله ودقة صنعه :

وفى كل شىء له آيـة

تدل عـلى أنه الواحد

والله تعالى يقول فى كتابه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ويقول : « ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم » . فحيثما ذهب

الانسان الى افق من الافاق ، او مجال من المجالات ، راى نـور الله امامه باهرا ، وقدرته ظاهرة ، (الله نور السـمـوات والارض) ، (والسموات مطويات بيمينه) .

وقد ازدان كلام المسلمين فى مختلف عصورهم بالحديث عن ملكوت السموات والارض ، للاعتبار بذلك ووعظ الناس به ، وهذا هو الامام على يتحدث فى كتاب « نهـج البلاغة » عن خلق السموات والارض فيقول فيما يقول :

(ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء (١) ، فأجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره(٢) حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة (٣) ،فأمرها برده وسلطها على شده وقرنها على حده (٤) الهواء من تحتهـا فتيق ، والماء من فوقها دفيق ، ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها (٥) واعصف مجراها ، وابعد منشأهـا ، فأمرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار ، فمخضته محض السقاء (٦) وعصفت به عصفها بالفضاء ، ترد اوله الى

---

(١) شق الاجواء : اى خلق الاجـواء ، وهى جمع جو ، وهو الفضاء بين السماء والارض ، والسكائك : جمع سكاكة ، وهى الهواء الملاقى عنـان السماء .

(٢) التيار : الموج ، والزخار : الشديد الامتداد .

(٣) الزعزع : الريح التى كانها تزعزع كل ثابت .

(٤) اى امرها بمنعه من الهبوط ، واوثقه بها ، وجعلها مكانا له .

(٥) اى جعل هبوبها عقيما ، وادام مكانها .

(٦) اى حركته بشدة كما يمخض اللبن لاستخراج الزبدة منه .

آخره ، وساجيه الى مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه فى هواء منفتق وجو منفهق (١) ، فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا ، بغير عمد يدعمها ، ولا دسار ينظمها (٢) ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب ، وأجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا (٣) ، فى فلك دائر وسقف سائر ، ورقيم مائر (٤) ثم فتق ما بين السموات العلا ، فملأهن اطوارا من ملائكته ، منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا ينتصبون ، وصافون لايتزايلون (٥) ومسبحون لايسأمون » !!

ويخيل الى — والغيب يعلمه الله — ان بعض الدول ذات الكشوف فى الفضاء وذات الاتجاه الالحادى سترجع باتساع علمها ومعرفتها الى الدين بعد حين ، وستعود اليه على بصيرة لان الله تعالى يقول : (انما يخشى الله من عباده العلماء) وحين يتسع العلم ويتسق ويستقيم يكون خير رائد يقود الانسان الى الايمان بالله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير • ولقد كانت هذه الدولة قبل ثورتها الالحادية متدينة ، وكان التدين متمكنا منها ، ولكنها كانت جاهلة ،

« ١ » الركام : التراكم) والمنفهق : المفتوح الواسع . (٢) الموج المكفوف : الممنوع من السيلان . والدسار المسامير تشد بها الواح السفينة . (٣) الثواقب : المنيرة المشرقة . مستطيرا : منتشر الضياء ، يقصد الشمس . (٤) الرقيم : اسم للفلك . مائر : متحرك . (٥) صافون لا يتزايلون : اى قائمون صفوفا لا يتفارقون ، ولا يسامون : لا يملون .

فاستغل الثعالب من كذبة رجال الدين هذا الجهل ،وشوهوا فيها معالم الدين • واستغلوا سلطتهم الدينية والروحيــة أسوا استغلال ، و كان هذا الاستغلال سببا فى رد الفعــل العنيف الذى نقل تلك الدولة من تدينها العميق الى الحادها المطلق ، ولكن هذا الالحاد سيزول نيدا يخيل الى يوم تتعرف الى افاق الكون وايات الله فيه ذلك التعــرف الواســـع المستقيم ، ويومئذ تعود الى الدين بلا اعتساف او انحراف •

وهذا اكبر عالم طبيعى فى انجلترا يقول عن جهود روسيا فى بحوث الفضاء : (ان ما يدعو الى الاستغراب ان الامة التى حققت هذا النصر العلمى كانت قبل جيل واحد امــة تتفشى فيها الامية الى حد كبير) • ولكن ليس فى هذا عجب او غرابة ، فالامم كالافراد تغفو ثم تصحو ،وتكسل ثم تنشط ولقد كانت الصين راقدة فى ظلمات جهلها وتخلفها ،ثم بهرت العالمين بوثبتها وقوتها • ولقد تكرر انكسار المانيا • ثم تكرر نهوضها بعد انكسارها • وكل أمة قادرة على أن تنهض اذا ارادت وصممت على النهوض ، وفى هذا عظة وعبرة لاولى الالباب •

ومما يستحق التنويه ان روسيا قالت ان هذا النصر الكبير لن يستغل فى الحرب بل فى تحقيق السلام للناس جميعا • وانها لفرصة يجب انتهازها للدعوة الى السلام • لان امتنــا أمة سلام ، وديننا دين السلام • واستحضار معنى السلام فى هذا الموطن مع الحض عليه فى اخلاص يجعل الانســـان غير مغتر بما توصل اليه او يتوصل اليه من كشــوف •

والله سبحانه وتعالى حينما قال : (اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم) حذر عقب ذلك من الاغترار بالعلم أو الطغيان بسبب الاغترار بما فى يد الانسان من طاقات ، فقال : (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ، ان الى ربك الرجعى) . وما ادق الاشارة فى هذا المقام .

ولننظر بعد هذا الى هدى النبوة ، فهذا سليمان الذىاوتى العلم والحكمة ، والملك والمال ، والنبوة والرسالة ، يقول: (رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) . وفى موطن اخر يقول : (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم) .

واخيرا يجب على أمة الأسراء والمعراج التى حدثها ربها فى كتابه عن السموات والارض ، والافلاك والكواكب ، والافاق والاقطار ، والظاهر والباطن ، وغير ذلك من الايات والاسرار أن يكون لها نصيبها فى البحث والكشف والاختراع ، حتى تعز وتقوى ، وتكون خير أمة أخرجت للناس !

البدن فى نظر الإسلام

تعنى كل أمة ناهضة بدعم اسس الرياضة البدنية بين ابنائها • وخاصة بين شبابها ، وذلك لايمانها بان الرياضة تقويم وتعليم ، وبأن العقل السليم فى الجسم السليم ، وقد حشدت كل امة ناهضة لتلك الناحية من مالها ووقتها وجهدها وتوجيهها الشيء الكثير •

ولا يزال يوجد مع الاسف من يعتقد ان تلك العناية البادية بالرياضة لا تتواءم مع تعاليم الدين • لان الدين فى نظر اولئك الزاعمين يحصر رسالته فى ايقاظ الجوانب الروحية فقط • ولو ضحى فى سبيل ذلك بسلامة الابدان •

وهذا زعم صاحب باع طويل فى مجال الوهم والخطأ ، وخطأه ذو شعبتين ، الشعبة الاولى لان الرياضة البدنية كما رسم منهاجها المربون ليست مقصورة على تقوية الاجسام دون الافهام • والشعبة الثانية لان العناية بالبدن امر ليس غريبا على الدين ، فهو واجبه شرعا كما هو واجب عقلا ،

وصدق رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام يوم قال : (ان لبدنك عليك حقا) .

ان هذا الجسم بناية الله ، وحسب البدن تشريفا ان يكون بناء الرحمن ، الذى لا يعتدى عليه انسان ، والا استوجب لعنة الديان . فلا يتصرف فى هذا الجسم اصلا الا بانيه . حتى صاحبه نفسه لا يملك التصرف فيه بما يسوؤه أو يرديه ولذلك حرمت الأديان من قبل كما حرمت القوانين من بعد اتلاف البدن ولو من صاحبه بالانتحار او الاعتداء او الاهمال

والقرآن الكريم ـ دستور الاسلام الاقدس ـ قد كرم الانسان فى جسمه وصورته ، واعتبر ذلك نعمة كبرى من نعم الله ، يمن بها ويلفت اليها وينبه عليها ، فيقول القرآن المجيد فى مفتتح سورة التين : (والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) .

فهذا « التقويم » البالغ غاية الحسن فى تكوين خلق الانسان وتهذيب صورته ، مظهر من مظاهر العناية الالهية الصمدية ببدن الانسان ، وان كان (التقويم) يشمل غير البدن .

ويقول القرآن الكريم «ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك » ؟

فهذه الادوار المتلاحقة فى الخلق والتسوية والتعديل واختيار الصورة بيان أى بيان عن قيمة البدن فى الانسان .

بل ان الله تبارك وتعالى قد جعل قوة الجسم يوما ما سببا من أسباب الاصطفاء والايحاء .. الم تستمع الى القرآن المجيد حيث يقول : (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) .

فنحن نرى فى الاية الكريمة ان الحق سبحانه قد فضل بسطة العلم والجسم على شرف النسب وعلوه ، لأنهم قالوا: (ونحن أحق بالملك منه) لأنهم ورثته ، وفضل بسطة العلم والجسم على المال والثروة ، لانهم قالوا : (ولم يؤت سعة من المال) وهم عندهم المال ، وعندهم النسب من قبل . ولكن بسطة النسب وبسطة المال انهزمتا امام بسطة العلم وبسطة الجسم . وقد قرن الله بسطة العلم ببسطة الجسم ، وجمع بينهما ، وياله من تمجيد .

ورسول الاسلام عليه الصلاة والسلام قد قيل فى وصفه كما فى حديث ابن ابى هالة — (انه بادن متماسك) ؛ والبادن هو الممتلىء ، فليس هزيلا ، والمتماسك هو الذى يمسك بعض اعضائه بعضا ، فليس اذن مترهلا ولا متخاذلا بل هو معتدل الخلق قوة ومنظرا ، والرسول عنوان الرسالة

وقدوة الاتباع العليا ، فهو مثلهم السامى فى كل ناحيـــة من نواحى الحياة •

ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالرياضــة البدنية ، فانشأ أول ساحة رياضية فى الاسلام • وكانت خارج المدينة المنورة • وكان يدرب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ، واعتبر الرسول فى بعض احاديثـه هذه الساحة قطعة من الجنة • ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخلعون نعالهم عندها ، ويطأونها حفاة الاقــدام اظهارا للاحتفال والاكرام •

ولقد مارس محمد صلى الله عليه وسلم الرياضى الاول فى الاسلام فنونا من الرياضة • فسابق أعز الناس عليه وهى عائشه ، فسبقته مرة وسبقها اخرى ، وقال لها : هذه بتـلك وصارع (ركانة) الذى كان مضرب المثل عند العـــرب فى المصارعة والقوة ، صارعه فصرعه مرات ، وكان ذلك سببا فى دخول « ركانة » الاسلام ، ورمى بالقوس ، وســـابق بين الخيل ، ونظم هــذه المسابقـــات بين ذوات الخف والنعل والحافر ، وجعل ميدان السباق من (الحفياء) الى (ثنية الوداع) وبينهما نحو سبعة اميـــال ، ووضـــع للمسابقات نظاما دقيقا ينـــزهها عن الخـــداع والمؤثرات الخارجية ، فهو مثلا يقول عن السباق : (لا جلب ولا جنب فى الرهان) • والجلب ان يأتى المتسابق برجل يجلب عـلى فرسه ، أى يصيح عليه حتى يسبق ، والجنب ان يجعـــل

المتسابق فرسا بجانب فرسه ، حتى اذا تعب المركوب تركه وركب المجنوب •

واشترط الرسول التكافؤ او التقارب بين الجياد ، بحيث لا يكون النصر مؤكدا لجانب فقال : « من ادخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فلا بأس ، ومن ادحل فرسا بين فرسين وهو امن (١) أن يسبق فهو قمار) •

وكان الرسول يعلم عليا طريقة التنظيم فى السباق والاشراف عليه ، ففى حديث على : (فصف الخيل ، ثم ناد، هل من مصلح للجام ، أو حامل لغلام ، أو طارح لجل ، فاذا لم يجبك أحد فكبر ثلاثا ، ثم خلها عند الثالثة يسعد الله بسبقه من شاء من خلقه) • وكان على يقعد عند منتهى الغاية ويخط خطا ، ويقيم رجلين متقابلين عند طرف الخط • طرفه بين ابهامى ارجلهما ، وتمر الخيل بين الرجلين ، ويقول : اذا خرج احد الفرسين على صاحبه بطرف اذنيه او اذن او عذار فاجعلوا السبقة له ، فان شككتما فاجعلا سبقهما نصفين) •

ولقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم على بنى اسماعيل وهم يترامون ، فقال : ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا ، ارموا وانا مع بنى فلان • فأمسكوا فقال : ما لكم

---

(١) اى موقن وجازم بسبقه

لا ترمون ؟• فقالوا : كيف نرمى وانت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم • فكان ذلك درسا فى تشجيع الرياضـــــة وتأييد الرياضيين على شريعة سواء •

وكان للرسول ناقة تسمى (العضباء) ، وكانت لا تسبق فجاء أعرابى على قعود فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين • وجعلوا يقولون : سبقت العضباء ! سبقت العضـــباء ! •• فقال الرسول : (ان حقا على الله الا يرفع شيئا من الدنيـا الا وضعه) • فكان ذلك درسا فى التحريض على الرضـــا والصبر والثبات وعدم الزلزلة عند الانهزام •

وحينما لعب الاحباش بحرابهم وسيوفهم فى مســـجد الرسول ، وتطلع اليهم الرسول وزوجته عائشة ، فهمنـــا ضمنا أن الرياضة ليست لهوا ، وليست عملا دنيويا محضا ، وانما هى قوة للدين والدنيا معـا ، فتكتسب من هنا معنى العبادة بمعناها العام ، لان كل عمل طيب أريد به وجه الله يكون عبادة •

ولقد تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ثم قال : الا ان القـــوة الرمى « ثلاثا » • والرمى كان محصورا يومئذ فى الــرمى

بالسهام . ولكننا لو اخذنا الكلمة بمعناها العام المطلق لشملت كل لون من ألوان الرياضه ، فالقوة هي الرمي ، والرمي هو محور الرياضه وأساسها .. قذف الكرة القدم رمي ، ودفع اليدين للكرة الطائرة رمي ، ودفع الساعدين للثقل الحديدى الى أعلى رمي ، وضرب المضرب لكرة المنضدة رمي ، وتصويب كرة السلة نحو الهدف رمي ، والجرى من الاشخاص او من الجياد رمي ، لان الجرى اندفاع الى الامام ، فكان الانسان يقذف بجسمه في حركته وسرعته الى الامام .

واذن يمكن ان نقول : ان القوة هي الرمي ، والرمي يشمل كل ألوان الرياضه ، فكاننا مطالبون شرعا بكل هذه الالوان حتى نعد لاعدائنا كل قوة مستطاعة ! ..

والمعنى اللغوى لكلمة (الرمي) يساعدنا على هذا الفهم لان معنى الرمي عند العرب هو القصد ، يقولون : رميت ببصرى الشيء ، اى قصدته اليه به ، ومعناه عند العجم قريب من هذا ، فقد حكى عن بزرجمهر أنه قال : معنى رميت الشيء : رمته فوصلت اليه (١) . وهذا مقارب للمعنى العربى لأنه انما أراد بما رامه القصد اليه . وكل رمي في الرياضة فيه قصد لهدف وارادة لشيء ، فكأن ألوان الرياضة ألوان للرمي !

---

(١) أنظر نهاية الأرب ج ٦ ص ٢٢٩ .

لكن هذه المنزلة العالية للبدن وتقويته فى نظـر الدين مشروطة بشرط ، هو ان يكون من وراء اجسام العمالقة أخلاق الفضلاء وعقول الحكماء ، والا كان طغيان البدن وبالا ونكالا .

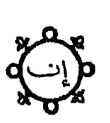
ان الله تبارك وتعالى يقول فى صفة المجرمين من المنافقين الكافرين .

(واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم . هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون)

اذا تطلعت اليهم رأيت الاجسام الفارعة ، واذا نطقوا راعتك الاصوات الجهيرة القارعة ، ولكن لاشىء وراء ذلك . لا عقل ولا خلق ولا روح ، واذن فلا ثبات ولا يقين : (كأنهم خشب مسندة) .. ولذلك يفزعون ويهلعون عند كل صرخة على الرغم من ضخامة الجسم وجهارة الصوت ، فيحاولون الفرار من كل صيحة ، والتنائى عن كل صراخ ، حتى ولو كانت الصيحة على سواهم ، وحتى لو كان الصراخ على غيرهم (يحسبون كل صيحة عليهم) ... فليست عندهم اخلاق تحكمهم ، أو أرواح تزنهم ، فهم هواء ، وهم للمسلمين اعداء (هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون) !

فيا شبيبة الاسلام ، كرموا اجسامكم ، فهى وديعة ربكم عندكم ، كرموها بصيانتها وتقويتها ، واعمروا هذه الاجسام بضيائها وسنائها ، اعمروها بمكارم الاخلاق ..

النظافة فى الإسلام



الاسلام لايقــاربه تشريع أو قـــانون فى الاهتمام بالطهارة ، والعناية بالنظافة ، والدعوة الى التجمل وحسن المظهـر فى الجســـم والثياب ؟

ان الماء مثلا وهو الوسيلة الاساسية الفعالة فى التطهير والتنظيف قد احتل مكانته الهامة فى القرآن الكريم ، فالحق تبارك وتعالى يقول :

(وجعلنا من الماء كل شىء حى) .. ويقول : (وانزلنـا من السماء ماء طهورا) . ويقول : (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم بهويذهب عنكمرجز الشيطانوليربطعلى قلوبكم ويثبت به الاقدام) .

وقد تكرر ذكر الماء فى القرآن أكثر من ستين مرة ،وهذا مما يدلكم على أنه اراد ان يلفت الابصار والبصائر الى قيمة الماء ، ونعمته فى الاقتدار على النظافة والنقاء .

ولفظ الطهارة بمعناها الحسى قد ذكره القرآن الكريم . بصور كثيرة مختلفة تدل على أن الاسلام هو دين الطهارة والبراءة والعلاء ، فهو يقول : (واعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) . ويقول : (وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع والسجود) . ويقول : (وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) . ويقول : (فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) . ويقول : (وان كنتم جنبا فاطهروا) ويقول : (فى كتاب مكنون ، لايمسه الا المطهرون) وغير ذلك من الآيات .

وما رأيكم فى فريضة الصلاة التى يؤديها المسلم خمس مرات على أقل تقدير كل يوم ؟ والتى هى مناجاة للرب ، ودعاء وهيام للروح فى ملكوت السموات .

لقد اشترط الاسلام لصحتها وادائها ان يكون المرء طاهرا فى جسمه ، طاهرا فى ثيابه ، طاهرا فى مكانه ، مجسدا الطهارة فى اطرافه ، ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (مفتاح الصلاة الطهور) . واعز الرسول الكريم شأن هذه الطهارة فقال : (الطهور شطر الايمان) .

والوضوء الذى يتكرر غالبا بتكرر الصلاة كل يوم عدة مرات يتناول سائر الاطراف للمس والاستعمال والغبار والاوساخ ، وهى اليدان والذراعان والوجه بما فيه من عينين وفم وانف ، والاذنان والرقبة والرجلان .

ومن لطيف ما يذكر هنا بمناسبه نظافة الشعر ان الرسول النظيف المحرض على النظافة يقول (من كان له شعر فليكرمه) ، وذلك يكون بطبيعة الحال بغسله وتنظيفه وتمشيطه ودهنه يطيب أو نحوه .

ولقد دخل عليه شخص ثائر الشعر فقال النبي : (اماكان عند هذا دهن يسكن به شعره ، يدخل احدكم كأنه شيطان.

ولم يكتف الاسلام فى نظافة الفم بغسله وادارة الماء فيا عند المضمضة ، بل أمر بالسواك أو ما شابهه من وسائل التطهير والتنظيف ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب) . ويقول : (لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

وليس السواك مقصودا لذاته ، بل كل ما ماثله من فرجون او فرشة او معجون او مطهر للاسنان يؤدى وظيفته ويقوم مقامه .

وهناك بعض الذين لا يدركون مقاصد الدين الساميه على وجهها يتشددون ويضيقون الواسع ، ويخرجون بالتشريع عن حكمته ، فلا يرضون بعود الاراك وهو السواك بديلا . وتراهم يشتطون بالتمسك به والتنفير من سواه ، ولو أدى وظيفته او زاد عليها ، ويحتجون بأن السواك هو الماثور ، وانه هو الذى استعمله السلف فى صدر الاسلام .

وأكاد اجزم جوابا لهؤلاء وتخفيفا لتشددهم ان المسلمين لو عرفوا فى صدر الاسلام ما اهتدى اليه الانسان المعاصر

الذى علمه ربه مالم يعلم من وسائل التنظيف او التطهير ، وبخاصة ما يتعلق منها بنظافة الفم ، لو عرف المسلمون قديما هذه الاصناف والمطهرات لاستعملوها ودعوا اليها ،واعتبروها من عاداتهم وتقاليدهم · فالغرض المقصود اذن هو الطهارة والنظافة نسلك اليها أى سبيل ، فاذا وجد عود الاراك وسهل استعماله فيها ونعمت ، وان لم يوجد الا غيره من المعاجين او السوائل او المطهرات ، فلا مانع مطلقا من استعمالها وباستعمالها يكون الانسان قد حقق ما هدف اليه الاسلام من تحبيب فى الحرص على نظافة الفم باستمرار ، حتى تسلم الاسنان من الآفات ، وحتى يتطهر الفم من الفضلات ، وحتى تزول الرائحة الكريهة ، وحتى لا تتسبب وساخة الفم فى أمراض المعدة وغيرها من العلل ·

ولم يكتف الاسلام بهذا المقدار فى تعويد اهليه النظافة والاناقة ، بل شرع لهم غير ذلك من وسائل التطهير والتباعد عن الانجاس والقاذورات والاوساخ ، فشرع لهم حلق الشعر وتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء والاغتسال ·

ومن بديع حكمة الاسلام فى الغسل انه ربطه بحوادث تتكرر كثيرا ، كالوقاع والحيض والنفاس والجمعة والعيدين والاحرام والطواف وغير ذلك · وكأنما ربط الاسلام مشروعية الغسل بهذه المواطن المكررة لكى يدفع المسلم فى مواعيد محددة ومكرره للاغتسال والاستحمام · فلا يكون

ذلك موكولا الى مواعيد مبهمة قد يرعاها قوم ويضـــيعها اخرون ٠

ولو نظرنا الى سيد الامة ونبى الله محمد صلوات الله وسلامه عليه لوجدناه المثل الاعلى فى هذه الناحية ٠ فقـــد كان اصفى الناس طلعة ، وابهاهم منظرا ، وانظفهم جسمـا واطهرهم ثوبا ، وأبعدهم عن الوسخ والقذر ،ولقد كان من مبالغته فى حرصه على النظافة يخص يده اليمنى بالشريف من الاعمال كالطعام والشراب والسلام ، ويجعل يده اليسرى للخـــلاء وازالة الاذى ونحوه ، وبذلك تظل اليـــــد اليمنى طاهرة متباعدة عن مظنة التلوث بما يعيب او يسوء ، وكان صلوات الله وسلامه عليه من حبه للنظافة والنقاء يكثر التطيب ٠ ويحب الطيب ، وكانت ثيابه كأنها ثياب دهان او عطار ٠ من كثرة استعماله لكريم العطور ، ومن قوله : (من عرض عليه ريحـان فلا يرده ، فانه طيب الرائحــــــة ، خفيف المحمل) ٠

وكان يرجل شعره ، ويفرقه ويدهنه ، ويتزين فى مظهره وهندامه اذا خرج لاصحابه او ضيفانه ، وكان يختار انظف ثيابه لصلاته ، وبخاصة صلاة الجمعة ، وكان يحبب صحابته في أن يخصصوا ثوبين نظيفين ليوم الجمعة وحده ٠

وكان عليه صلوات ربه وسلامه يستاك مفطرا وصائما ويستاك عند الانتباه من النوم ، وعند الوضوء ، وعند الصلاة وعند دخول المنزل • وكان يكثر دهن رأسه ، وكان لا يرد الطيب ، وكيف وهو القائل : (حبب الي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة) •

وكان يكره الرائحة الكريهة ، وينفر من اسبابها • ولذلك كان لا يأكل البقول او الخضروات التي لها رائحة شديدة مكروهة ، كالبصل والثوم والكراث ونحوه ، وكان يأمر من يأكلها بان لا يقترب من المسجد او مجتمع الناس ، ومن اضطر الى أكلها لغرض من الأغراض فليطبخها حتى تزول رائحتها او يتجنبه الناس حتى تزول رائحتها •

وكان صلوات الله وسلامه عليه من نظافته واناقته يتمتع بطيبات ربه في ثيابه ، فقد لبس على رأسه القلنسوة والعمامة والمغفر • ولبس القميص ، والحبرة ، والفروج والقباء ، والازار ، والرداء ، والحلة والبرد اليماني ، والفروة المكفوفة بالسندس ، والجبة المكفوفة بالديباج ، وكان احب الالوان اليه البياض • والابيض عنوان الصفاء والنقاء • ولبس الخاتم والخفين والنعل ، وكان في استنجائه يجمع احيانا بين الماء والحجر • ليكون ذلك ادعى الى كمال التنظيف •

وعن عبد الله بن عباس قال : لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن ما يكون من الحلل ٠

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان) ، فقال رجل : يا رسول الله ، انى احب ان يكون ثوبى نظيفا ونعلى حسنه ، افمن الكبر ذاك ؟ ٠ فقال الرسول ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس ٠

ولم يقتصر الاسلام على نظافة الجسم من الظاهر ٠ بل اراد ايضا ان يعمل المرء ما استطاع على تطهير باطنه وداخله ٠ لان الصلة وثيقة بين الباطن والظاهر ٠ فاذا صلح الجوف فاضت صلاحيته على الاطراف والاعضاء ٠ واذا خبث القى ظلالا من خبثه على الظاهر ٠ ولذلك نرى الاسلام يبغض المسلم فى أن يأكل حراما ٠ لان الحرام يفتح الباب الى النهم والطمع والجشع ٠ وهذه آفات تجعل جوف المرء ماعونا يلقى فيه ما طاب وساء ٠ فيكون ذلك سببا للمرض والتلف ٠

وكذلك امر الاسلام بالاعتدال فى الطعام والشراب وعدم الاسراف فيهما ٠ حتى لا يؤدى ذلك الى فضلات تضر وتعيب ٠

والقرآن الكريم يقول : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) . ويقول : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ويقول قبل ذلك . ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) . ويقول الرسول العظيم عليه الصلاة والتسليم (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع . واذا اكلنا لانشبع) .. ويقول : (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء)

الدين جمال وكمال . وطهارة وسمو . ونقاء وعلو . فطهروا اجسامكم وثيابكم ، وقلوبكم وامعاءكم تكونوا من خيار الاحياء .

واذكروا هذه الاحاديث الكريمة من قول نبيكم صلوات الله وسلامه عليه :

١ ـ (ان الله تعالى جميل يحب الجمال . ويحب ان يرى اثر نعمته على عبده ، ويكره البؤس والتباؤس) .

٢ ـ (ان الله تعالى جميل يحب الجمال ، سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة) .

٣ ـ (ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود . فنظفوا افنيتكم) .

٤ - (ان الله تعالى يبغض الوسخ والشعث) .

٥ - (ان الله تعالى يحب الناسك النظيف) .

٦ - (ان الاسلام نظيف فتنظفوا ، فانه لا يدخل الجنة الا نظيف) .

٧ - (ان الخصلة الصالحة تكون فى الرجل فيصلح الله له بها عمله كله ، وطهور الرجل لصلاته يكفر الله به ذنوبه ، وتبقى صلاته له نافلة) .

أفيبقى بعد هذا الفيض الكريم من شواهد الحض على النظافة مجال لتردد متردد يشك فى أن الاسلام هو دين النظافة والطهارة ؟ .




مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)

في هذا الكتاب

ملامح المجتمع الاسلامي .. ضوابط العمل بالخير والتعاون فيما يفيد وينفع ..

الانسان والقمر .. العلم خير رائد يقود الى الايمان بالله .. « سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم » !

الثمن ٧ قروش